فِقْهُ الفِتَنِ

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله–عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الأول من فقه الفتن

(ألقي يوم الخميس 1432/3/7)

عناصر الدرس:

- **قاعدتان أصليتان في الفتن: حفظ اللسان، والانشغال بالعبادة.**
- **قواعد في التعامل مع الفتن.**
- **معاملة الحكام وماذا نعتقد فيها في ضوء الكتاب والسنة.**
- **قواعد أهل السنة والجماعة في الإمامة.**
- **قراءة من أحاديث كتاب الفتن من صحيح البخاري.**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

نسأل الله–عزَّ وجلَّ–بمنه وكرمه أن يجعل لنا من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل فتنة نورًا وضياءً نستضيء به فنسير فيها على ما يرضيه، ونخرج منها سالمين غانمين الأجر والمثوبة والرضا من رب العالمين.

لقاؤنا اليوم لقاء خاص نتكلم فيه عن **(فقه الفتن)**، ونذكر فيه بعض القواعد العامة التي–بإذن الله–تكون سببًا لثبات المؤمن وصحة رؤيته للأحداث، فإننا اليوم مع هذا الاتصال العظيم بالعالم، ومع قدرتنا على متابعة الأحداث سواء كانت القريبة أو البعيدة، تشتَّتَت الآراء، وكثر في المجتمع التخبّط، وأصبح كلام عظيم يجري على ألسنة العامة والسفهاء! وأصبحت أعراض المسلمين ودماؤهم حديث مجالس، وإثارات رهينة مشاعر، وأهلها بعيدون كل البعد عن الاهتداء بسنة النبي–صلى الله عليه وسلم–، وعن معرفة حال السلف الصالح في مثل هذا، عن النظر إلى ما أمر الله–سبحانه وتعالى–في كتابه.

- حفظ اللسان:

والحقيقة أن الكلام في الفتنة من أصله كلام مذموم، ثبت عن كثير من السلف نصوص وأفعال تدل على ذم الكلام في الفتنة، وأبتدئ بمناقشة هذه النقطة لتبقى قاعدة أصلية، ثم تأتي بعدها القواعد التي يجب أن أعتقدها على وجه العموم في التعامل مع الفتن، لكن أولًا نضع قاعدة مهمة، وهذه القاعدة تشمل جميع أنواع الفتن.

- ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "**إنما الفتنة باللسان وليست باليد**"[1].
- وورد عن طاووس: "**تكون فتنة وقع اللسان فيها أشد من وقع السيف!**"[2].
- وعن محمد بن وليد القرشي يقول: "**الكلام في الفتنة دم يقطر**"[3].
- وقد ذُكر عن شريح–وهو أحد التابعين–قوله: "**ما أخبرتُ ولا استخبرتُ منذ كانت الفتنة**"[4].
- ويذكر عنه ميمون بن مهران فيقول: "**لبِث شريح في الفتنة تسعة سنين لا يُخبر ولا يستخبر**"[5].

فهذا وغيره من النصوص التي تشبهه داخل تحت قاعدة عظيمة، وهي: **قاعدة حفظ اللسان**، وكيف أن كثيرًا من الكلام الذي يقال في أثناء الفتنة لابد أن يتردد بين غيبة ونميمة وبهتان.

---

(1) "السنن الواردة في الفتن" للداني.

(2) أخرج ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–قال: "تكون فتنة تستنظِفُ العرب، قتلاها في النار، اللسانُ فيها أشدُّ من وَقع السيف"، وضعفه الألباني. ورواه أحمد وصححه أحمد شاكر.

(3) "السنن الواردة في الفتن" للداني.

(4) "المصنف" لابن أبي شيبة.

(5) "السنن الواردة في الفتن" للداني.

وقد نبَّهَنا إمام الحرم-حفظه الله-الأسبوع الماضي في خطبة الجمعة إلى هذه القاعدة العظيمة، وكان الكل ينتظر أن يناقش الفتنة بتفاصيلها، لكنه أتى إلى الداء فقطع أصل مادته، **فأصْل مادة الفتنة: لسان يُخبر ويستخبر**.

ثم سنلقى الدَّيَّان يقينًا لا محالة، وسيسألنا ويكلمنا ما بيننا وبينه ترجمان-سبحانه وتعالى-فماذا سنقول؟ ومن أي مصدر حَكَمْنا؟ وبأي قلبِ ثقةٍ جزمنا؟ في كثير مما نقوله ونتناقله ونُعبّر على أنه رأينا، فسيسألنا الله-عزَّ وجلَّ-عن مثل هذا.

-العبادة في الفتن:

ثم يا أيها العبد المبارك، ألا تعلم حديث النبي-صلى الله عليه وسلم-الذي يقول فيه: **"العمل في الهرج كالهجرةِ إليّ"**[1]، وفي رواية **"كالهجرة معي"**[2]؟ والمقصود: العبادة، الطاعة، الانشغال بشأن النفس، الانكفاف عن الهرج، من عند الكلام إلى القتال وما يساعد على القتال.

فهذه قاعدة غاية في الأهمية لابد من التنبّه لها وبقاء العناية بها أيًّا كانت الفتنة، ثم نأتي إلى تفاصيل القواعد حول فقه الفتن.

- قواعد في التعامل مع الفتن:

نبدأ أولًا بالقاعدة الأولى، ونصها:

◄ **(سنن الله-عزَّ وجلَّ-في خلقه باقية).**

ونقصد بهذه القاعدة أن الله مالك الملك، مدبر الخلق، يحيي ويميت، بيده الخير، ملك يأمر وينهى ويثيب ويعاقب، وجعل للكون ولأهله سننًا يسيرون عليها، ومن هذه السنن: أن الخلق إذا خالفوا أمر الملك العظيم فلابد أن يعاملهم بما يستحقون، وإن عاملهم زمنًا طويلًا بحلمه-سبحانه وتعالى-

ومن سننه العظيمة أنه-سبحانه وتعالى-كما يعاقب المستحق للعقاب يكشف المتستر المتخفي المندس بين المسلمين، فتأتي أحداث تُظهر هؤلاء وما يحملون، فيُذهب الله-عزَّ وجلَّ-الخَبث، وتكون هذه السنن كالنار، فيَذهبُ الزبد ويبقى ما ينفع الناس.

ملخص الكلام: الفتن لابد منها، تمحيصًا وتخليصًا، أو عقوبة وردعًا، وهذه سنة الله، فإذا نزلت على قوم عقوبات من السماء، أو قام أقوام بأفعال جرّوا فيها المهالك لأنفسهم، فهذا كله بتقدير الله، ووراءه ما وراءه من حكمته-سبحانه وتعالى-، لكن نبقى مؤمنين أن الله-عزَّ وجلَّ-في هذه الفتن يميّز أولياءه وأصفياءه حتى يطهر الأرض من المنافقين.

نكون بهذا انتهينا من القاعدة الأولى وهي الكلام حول سنن الله-عزَّ وجلَّ-.

---

(1) رواه الإمام مسلم (2948) عن معقل بن يسار رضي الله عنه بلفظ "العبادة في الهرج كهجرة إليّ"، والإمام أحمد (20298) بلفظ "العمل في الهرج كهجرة إليّ".

(2) أخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (6/ 160) خلاصة حكم المحدث: [فيه] فرات بن سلمان أرجو أنه لا بأس به.

نأتي إلى القاعدة الثانية في الفتن:

◄ **(الفتن إذا استشرفت لها أخذتك).**

وهذا المعنى موجود في كلام النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وسيأتينا نصه، وسأذكر هنا كلام حذيفة-رضي الله عنه-فقيه الفتنة، يقول: **"إن الفتنة تستشرف لمن استشرف لها"**[1]، أي: تحرص على من كان حريصًا عليها، تحرص على من جرى وراءها.

من هذا الذي يجري وراءها؟

ورد في كلام السلف أن الفتنة تُرسَل مع الهوى، أي لما تنزل فتنة أو مصيبة يفتن الله-عزَّ وجلَّ-بها الناس ويختبر اعتقاداتهم تنزل مع هذه الفتنة الهوى، فمن اتبع الهوى تكون له هذه الفتنة فتنة سوداء، أي تكدر حياته.

ثم إن الفتنة ليست بهذا الوضوح، **"الفتنة إذا أقبلت تشبَّهت وإذا أدبرت تبينت"**[2]، الفتنة إذا أقبلت تشبَّهت بأن هذا حق وأن ما نقوله مطالبة بالحق وأننا لا نطلب إلا حقنا، وإذا أدبرت تبيَّنت.

ولهذا كما ذكرنا في القاعدة السابقة أن هذه سنن الله، وسنن الله-عزَّ وجلَّ-أن لا يترك الناس مختلطين ببعضهم، سنن الله أن لا يترك العاصي لا ينبِّهه، فإما أن تنزل هذه المصيبة من عند الله، أو من جرّاء فعل الإنسان وقراراته، وفي كلا الأمرين: إما تكون عقوبة من أجل أن يتنبه العاصي، وإما تكون تمييزًا للخبيث من الصحيح، ولهذا في القاعدة الأولى لابد أن تفهم أن الفتنة تبيّن من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت، قوم يصيبهم خوف من الغرق فيستنجدون بغير الله؟! إذا كان كفار قريش-وهم مشركون-عندما يركبون البحر ويخشون الغرق يدعون الله مخلصين له الدين، فماذا نشتكي من ضعف الإيمان؟ وماذا نشتكي من وهن شديد في علاقتنا بالرحمن؟!

ألا ترى أن التوحيد غائب؟! ألا ترى أن القوم يتمسكون في شدائدهم بحبل غير حبل الله؟!

ثم أقوام كانوا يرون ما كان يراه ابن نوح الذي: {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}[3] وكانوا يرون النجاة في بيوتهم أو في أماكن اعتقدوا أن النجاة فيها وإن نجاهم الله، لكن القضية على ما في قلوبهم فهذه سنَّة الله.

ثم اعلم أن الفتنة تستشرف من استشرف لها، تأخذه، فعندما تنزل سنة الله على الخلق تجد قومًا ليس لهم في الأمر شيء لكنهم أطلقوا ألسنتهم، أطلقوا أيديهم، أطلقوا كتاباتهم، مناقشاتهم، في أمر كان الأولى بهم أن يلتزموا الصمت، فتنة سلّم الله منها أيديكم فلتسلم ألسنتكم منها! والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: **" ستكونُ فتنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ خيرٌ**

---

(1) "المصنف" لابن أبي شيبة.

(2) "السنن الواردة في الفتن" للداني، عن التابعي مطرِّف بن عبد الله بن الشخّير.

(3) [سورة هود: 43]

من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّفَ لها تستشرفُه، فمن وجد ملجأً، أو معاذًا، فليَعُذْ بهِ"[1] هذه رواية البخاري، في رواية مسلم **"تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَسْتَعِذْ"**. لهذه الدرجة الوصف، نم في الفتنة وأخمل ذكرك!

معناها: في الفتنة لا تتصدر، في الفتنة لا تتقدم، لا تكن صاحب الرأي وتناقش وتحلل وتخاصم وتضارب.

إنما إذا أردت فانشر ما تعتقده من سنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–، وانشر ما أمرنا به–صلَّى الله عليه وسلَّم–من إخمال الذكر والهروب والبعد عن مواطن الفتن.

واعلم أنّ النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–أخبرنا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما رواه نعيم بن حماد في كتابه "الفتن" قال –صلَّى الله عليه وسلَّم–: **"أسعد الناس في الفتن كل خفيٍّ تقيٍّ، إن ظهر لم يُعرَف، وإن غاب لم يُفقَد، وأشقى الناس فيها كل خطيب مصقع** [يعني: البليغ الماهر] **أو راكب موضع** [أي: المسرع فيها]**، لا يخلص من شرها إلا من أخلص الدعاء كدعاء الغَرِق في البحر"**[2].

فهذا معناه أن التقدم والكلام فيما ليس عليه دليل، وبث ونشر شيء غير: "قال الله، وقال رسوله، قال الصحابة" كل هذا من الاستشراف في الفتنة.

واليوم مع وسائل الإعلام ووسائل الاتصال والصفحات المفتوحة والكلمات المبثوثة في كل مكان تجد القوم كأنهم لم يقرؤوا سُنة النبي–صلى الله عليه وسلم–! كأنهم لا يعرفون ما أمر به النبي–صلى الله عليه وسلم–، والله كأنهم لا يعرفون التوحيد ولم يسمعوا عن كمال صفات الله! وقد اختلط علينا الحابل بالنابل! في أقل من شهر نقلتنا الفتن، تنقلنا فيها بأنواع وأشكال، بين ظهور لضعف التوحيد وتعلق بغير الله ونسيان للذنوب والمعاصي، ونسيان لقدرة الله–عزَّ وجلَّ–، ونسيان لأمره–سبحانه وتعالى–بالصبر على المصيبة، بين هذا وبين أمواج من الفتن، تنقلات في المُلك، إرهاصات عظيمة لمصائب عظيمة.

في كل هذا تجد أن أمرين يدور حولهما موقفك، سواء كنت قويًّا أو ضعيفًا:

1–قوة علاقتك بتوحيد الله–أي الإخلاص–.

2–قوة علاقتك بسنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–أي المتابعة–.

على كل حال، هذه سنَّة الله، أن يأتي من الأحداث والأحوال ما يكشف صدق ادعاءاتنا، سنين ونحن ندّعي أننا على منهج السلف وأننا نعظّم السنَّة وأننا موحدون نحب التوحيد ونحب نشره، ثم يأتي القوم وهم في الأزمات يتكلمون عن غير الله! يطلبون غير الله!

---

(1) أخرجه البخاري (3601)، ومسلم (2886) باختلاف يسير.

(2) رواه نعيم بن حماد في "الفتن" بإسناد ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، والحاكم في "المستدرك" عن أبي سَرِيحة حذيفة بن أَسيد رضي الله عنه موقوفًا، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

ثم لا زال ذاك الصنم الكبير–صنم الذات والأسباب–أخذ من الناس كل مأخذ، نحن في عمق الأزمة، في داخلها، في عنق الزجاجة، والناس يكلمونك عن غير الله، وحتى مَن أمِن، قدّر أمنه أنه كان بسبب قراره!

في أحداث سيول جدة !

كم كلمة "لو" قيلت في الأحداث! كم شخص قال: (لو ما خرجت، لو ما دخلت، لو ما ذهبت، لو ما داومت، لو ما أرسلت أولادي، لو ما فعلت) هذا مَن تضرر. ومن سلِم ليت توحيده سلِم، حتى الذي جلس وأمِن تكلم عن سيارته العالية، مع أننا رأينا الحافلات الكبيرة يحركها الماء، تكلم عن بيته المبني بناء قويًّا، تكلم عن اختياره أن لا يكون في الدور الأرضي.

واسمع على ذلك المتضرر والناجي، الذي في الداخل والذي في الخارج، الذي عاش مع الأحداث والذي في خارجها، ترى عاملًا مشتركًا–إلا ما رحم ربي–وهو (ضعف التوحيد).

مثل هذا في الصورة الأعم والأعظم، عندما نأتي نعالج قضايا كبيرة مثل قضية الفقر والبطالة، وتجد أبناء الإسلام المؤمنين بأن لهم ربًّا لطيفًا رحيمًا، أين يذهب إيمانهم وأين يذهب حسن ظنهم بالله؟ وأين يكون مكان يقينهم أن الرزق بيد الله؟!

كأنك ما سمعت قوله تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ}[1]، كأنك ما عرفت أنه الأحد الصمد {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ}، أي أحد زعمته {فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلًا}[2]، والله لا يملكون!

أين ذهب حديث ابن عباس **"واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ"**[3]! وأين ذهبت النصوص الكثيرة التي وردت في سنَّة النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–التي تدلك على طريق التعامل مع ولي أمرك؟

ذكرنا قاعدتين:

الأولى: أن سنن الله باقية جارية، ومن سننه البلاءات والفتن التي تكشف الخلق، التي هي عقوبات على من أساء، التي حين تنزل على قوم تنزل على كل شخص بما يناسبه، تُظهر إيمان المؤمنين وتوحيد الموحدين وتعلقهم به–سبحانه وتعالى–، وتُظهر في المقابل ضعف إيمان كثيرين ونفاق بعض الناس، تُظهر ادعاءات نقولها في السلم.

الثانية: قاعدة غاية في الأهمية في الفتن: أن الفتنة تستشرف–أي تحرص–على من استشرف لها، فمن دخل بلسانه كمن دخل بيده، كمن تقدم بقدميه، وكثيرون بعيدة أبدانهم عن الفتنة قريبٌ هلاكهم لما أطلقوا ألسنتهم في الفتنة وليس لهم فيها باب، كما يقال: (لا جمل لهم ولا ناقة)، ومع ذلك رحمهم الله لكن لم يرحموا أنفسهم، أبعدهم الله لكن تدخلوا فيما لا يعنيهم.

(1) [سورة الأنعام: 17 – سورة يونس: 107]

(2) [سورة الإسراء: 56]

(3) رواه الترمذي (2516) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

نأتي للقاعدة الثالثة في الفتن:

◄ **(الخلاص بالعلم والتقوى).**

وهنا نشير إلى قضية غاية في الأهمية، اسمها بالمصطلح المعاصر: (قضية التخصص)، كما ذكر الشيخ الشريم حفظه الله، ماذا نقصد بالتخصص؟ اسأل نفسك: أنت مَن تكون في هذه الأحداث؟ سواء الأحداث التي تحدث في العالم الإسلامي عمومًا أو الأحداث الخاصة التي تحصل في بعض المدن على وجه الخصوص.

يعني: أنت من أمانة مدينة جدة مثلًا؟ أنت رئيس لجنة التحقيق فيما حدث؟ أم أنت في هذا الأمر كله مصاب؟ أم أنت خارج حد الإصابة؟ مشارك لأهل المدينة فيما هم فيه؟ أم أنت خارج هذا كله ليس لك في هذا الباب إلا الرؤية والنظر؟

كل واحد من هؤلاء له دوره الذي يجب أن يلعبه ويقوم به، وسيُسأل عند الله عما حُمّل من أمانة، والحديث في ذلك صحيح: **"كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"**[1]. وهذا الحديث محفوظ معروف، المرأة راعية، الرجل راعٍ، المرأة راعية في بيت زوجها مسؤولة عن رعيتها، الخادم راعٍ في مال سيده، يعني الخادم لا يربي أولاد السيد إنما مسؤول عن ماله، المرأة لا تناقش تجارة وأموال زوجها إنما مسؤولة عن رعيتها التي تحت يدها، ويوم القيامة ستُسال عن هؤلاء الذين تحت يدها.

فهذه القاعدة تُيسّر علينا كثيرًا في التعامل مع الفتنة، مَن أنا في هذه الفتنة؟ يُبنى على هذا ماذا يجب أن تعلم؟

اتفقنا أن النجاة من الفتنة بالعلم والتقوى، **فماذا يجب عليَّ أن أعلم من أجل أن أنجو في مثل هذا الموقف؟**

يجب عليك أن تعلم على وجه العموم ما هو المأمور به في مثل هذا الحدث، كيف يجب عليك أن تعامل الحدث، أين يجب عليك أن تقف ولا تتعدى؟

سبب الفتن كما ذكرنا كثرة الخلط والكلام، فمن أجل حل هذه المشكلة لابد أن يتوقف مَن ليس له علاقة بالحدث عن الكلام، ومن له علاقة يجب أن يتكلم الكلام الصحيح.

فتصوروا-حفظكم الله جميعًا-أنك في سيارتك والمطر يهطل وبدأت هذه السيارة بدلًا من أن تمشي على الأرض بدأ الماء يحركها، ودب الخوف في قلبك وقلب الجميع، نفترض وإن كانت والحمد لله السكينة تدب في القلوب على قدر تعرّف العبد على الله في الرخاء، لكن سأفترض أن خوفًا وقع، ما هي الوظيفة الآن؟ ما هو العلم الآن؟ ما هي متابعة السنَّة الآن؟

قلّب صفحات قلبك لترى الآن ماذا يجب عليك أن تتذكر! مَن ينفعك تذكره! علمت أنه لا ينفعك الآن إلا ذكر الله لا فلان ولا فلان، ابتداء من الأهل والأقرباء وانتهاء بالدفاع المدني، من القريب إلى الكبير في آلاته وأجهزته، اعلم أن المطلوب منك الآن في هذه اللحظة: الكفر بهم جميعًا، ونحن اتفقنا أن الفتنة تبين من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت، ففي لحظة الخوف هذه لا

(1) صحيح البخاري (كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه، 2409).

عودة للمنزل تنفع فيكون قلبك فقط متعلقًا ببيتك، فقد تصل بيتك وتهلك فيه! ولا تعلق بمُنجين، ولا بسيارة كبيرة ولا صغيرة، فقط أنت على خشبة في البحر، ماذا ستقول؟ يا رب يا رب!

فالعلم الآن أن التوحيد هو حبل النجاة، ولا تجعل الأسباب آلهة من دون الله، فوَ الله لا يسبب الأسباب ولا ينجي الخلق والعباد ولا يفتح لهم أبواب الخروج من الأزمات إلا الملك القدوس السلام، إلا من يملك الأسباب، لا يبدّل البلاد من بعد فقر إلى غنى إلا إياه، ولا ينشر الأمن والأمان إلا هو وحده لا شريك له، ولا يصرف عن الخلق الشرور إلا إياه، لكن ياليت قومي يعلمون!

إنّ مما آذى المشاعر أن يتكلم البعيد قبل القريب عن أحد غير الله وقت الأزمة، فإذا تكلم الخلق وضجّوا بالكلام عن غيره كان الجزاء أن يوكلهم إلى أنفسهم، أليس "مَن تعلَّق شيئًا وُكِل إليه"[1]؟! ومع ذلك يعاملنا الله بحلمه ولطفه ورحمته! فكان المطلوب أن تكون قاعدة مشتركة بين كل القلوب: أنا لا ينجيني من ضيق أعيشه إلا الله، لا يخرجني من ضر مسني وأصابني إلا هو.

ثم إذا علمت هذا العلم سارع وابحث عما في عقلك من السُنَّة ماذا يُقال في الكرب؟ ماذا تقول حال الضيق؟ ماذا تحفظ من نصوص الكتاب في كلام الأنبياء والمرسلين وقت ضيقهم؟ ماذا قال يونس وهو في بطن الحوت؟ ما قال إلا: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[2]، ليس لي إله أعبده ولا ربٌ أتعلق به في الرخاء والشدة إلا أنت يا ربنا، وأنا ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا وأعلم أنك حكيم رحيم، إذا مد العبد يده إليك لا ترده صفرًا، يا من أمره كن فيكون.

المقصد أن **التوحيد هو النجاة**، لا طلب غير الله ولا حرق النفس ولا إلقاؤها من علو، ما خُلقتَ من أجل أن تستمتع بالأرض، إنما خُلقتَ لتبقى متعلقًا برب السماء، فيردك إليه.

المقصد أن علمك بالتوحيد وعلمك بسنَّة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في هذا الباب وهو باب (ماذا أفعل في الأزمات؟) سيجعلك ممن استقر نفسيًّا وتَبينَ له ماذا يجب أن يكون في خاطري؟ كيف ينشرح خاطري؟ كيف أستودع الله أولادي؟ كيف أطمئن أنهم في حفظه؟ كيف أسبّحه وأنزّهه عن صفات النقص سبحانه، وأتيقن أنه لا يمكن أن أستودع عنده وديعة فيضيعها، أؤمن بكمال صفات الملك العظيم الرب الكريم ويكون في قلبي من العلم ما تحركه التقوى، فأتقي وقت المواقف والضيق أن أسيء الظن به أو أتصور أن فلاحًا في غير سنَّة نبيه-صلَّى الله عليه وسلَّم-أو أن متابعة السنَّة معناها خذلان وضعف ولا نتائج وراءها، كل هذا أدفعه وأتيقن أن ما وصف النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-هو الصواب، فبين التوحيد وبين سنَّة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يتردد العبد، يغرف من التوحيد فيثق بالرب الكريم ويغرف من السنَّة فيصح له التصور.

---

(1) رواه الترمذي (2062)، وصححه الألباني.

(2) [سورة الأنبياء: 87]

كانت هذه القاعدة الثالثة التي بالإجمال ذكرنا فيها أن العلم والتقوى سبب النجاة، واتفقنا في أولها على أننا لابد أن نعرف من نحن؟ وفي أي موطن؟ في أي وضع؟ ما هي مسؤولياتنا؟ وكل شخص منا يتحمل أن يتعلم ما تفرضه عليه مسؤوليته لكن هناك عامل مشترك الكل يجب أن يكون عنده وهو توحيد الله، معرفته-سبحانه وتعالى-بأسمائه وصفاته، يأتينا التفصيل الآن...

سأتكلم في مسألة هي من ضمن اعتقادنا، تُذكر في رسائل الاعتقاد عند أهل السنَّة والجماعة، ولابد من تلقُّنِها وتلقينها ومعرفتها، وهذا من ضمن العلم الذي تحتاجه وتحتاجه الآن بالذات، وهو (فقه معاملة الحكام) من أجل أن لا يأخذك الناس بآرائهم يمنةً ويسرةً.

وأنا أشهد الله أن ما سأقوله هو ما أعتقده، وهو ما أعلم أن عليه النصوص الصحيحة، وهو ما أعلم أن عليه سلف الأمة، وهو ما أعلم أن عليه المعاصرين من علماء السلف، فأسأل الله أن لا يكلنا إلى أنفسنا وأن لا يجعل شهوات أنفسنا وآراءنا تغلب على اعتقادنا بالصواب، فكم من حافظ للنصوص التي ستسمعها لكن-مع علمه-لم يستعمل التقوى، لا يكفيني عامل واحد للنجاة، لابد من علم وتقوى.

اتفقنا إلى الآن على ثلاث قواعد في نظرتنا للفتن ومعايشتنا لها:

1. **سنة الله في الكون وفي أهل الأرض أن يبتليهم بالفتن وهذا بين عقوبة وتمحيص.**
2. **أن هذه الفتن من استشرف لها أخذته.**

والمعنى أنه قد يكون الإنسان في حفظ من الفتن، بعيدًا عنها إنما هو متفرج عليها، يعني هذه فتنة حلت قريبة من دياركم ما حلت في دارك، فتجد نفسك بدون مناسبة تدخل فيها، أو تكون في دارك ولا تعرف أن الواجب أن تمسك عليك لسانك ويسعك بيتك ولتبكِ على خطيئتك[1]، لا توجد هذه السياسة، توجد سياسة إطلاق اللسان! سياسة التحليل والمناقشات، سياسة الآراء والكلام فيما لا يعنيني! سياسة الآراء! عمت وطمت هذه السياسة في الصغير والكبير !!

3. **أن سبب النجاة: العلم مع التقوى.**

وهناك قاعدة في العلم، ما هي قاعدة العلم؟ هي نفس شرطي قبول العمل: الإخلاص ومتابعة النبي-صلى الله عليه وسلم-.

- معاملة الحكام وماذا نعتقد فيها في ضوء الكتاب والسنَّة:

أولًا: نبتدئ بتقرير **أن السمع والطاعة لولاة المسلمين أصل من أصول العقيدة عند أهل السنَّة والجماعة**، وقلّ أن يخلو كتاب أو رسالة من رسالات أهل السنة والجماعة من تقرير وشرح وبيان عقيدتنا في السمع والطاعة، وما ذلك إلا لبالغ أهميته وعظيم شأنه؛ لأن السمع والطاعة به تنتظم مصالح الدين والدنيا، وبالخروج على ولاة الأمر-سواء الخروج بالقول أو الفعل- فساد في الدين والدنيا.

(1) روى الترمذي في سننه عن عقبة بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: "أمسِكْ عليك لسانك، ولْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ على خطيئتكَ". صححه الألباني.

ومن المعلوم بالضرورة كما ذكر عمر–رضي الله عنه–وأخرجه الدارمي أنه "**لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة**".

وقد ذُكر من كلام الحسن البصري–رحمه الله تعالى–في الأمراء كلامًا يقرر فيه ما يجب أن تعتقده، قال: "**هم يلون من أمورنا خمسًا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود. والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن طاعتهم والله لغبطة وإن فرقتهم لكفر**"[1].

فالسلف الصالح كانوا يهتمون جدا بهذا الأمر، لاسيما عند ظهور بوادر الفتنة؛ نظرًا لما يترتب على الجهل به أو إغفاله من الفساد العظيم في العباد والبلاد

وانظر إلى موقف أحمد بن حنبل–رحمه الله–، ذكره ابن مفلح في كتاب الآداب الشرعية يقول:

قال ابن مفلح: "**اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ فِي وِلَايَةِ الْوَاثِقِ إلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ**–أي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله–**وَقَالُوا لَهُ: إنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا–يَعْنُونَ إظْهَار الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ**–[هذا في زمن الواثق ومعروف فتنة القول بخلق القرآن فهؤلاء اجتمعوا عند الإمام أحمد] **وَقَالُوا لَهُ: الأمر قد تفاقم وفشا وَلَا نَرْضَى بِإِمَارَتِهِ وَلَا سُلْطَانه** [فاسمع ماذا قال لهم، يقول ابن مفلح:] "**فَنَاظَرَهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْإِنْكَارِ فِي قُلُوبِكُمْ وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَة وَلَا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، وَانْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيح بَرٌّ وْ يُسْتَرَاح مِنْ فَاجِر. وَقَالَ: لَيْسَ هَذَا صَوَابًا** [أي: نزع اليد من الطاعة]، **هَذَا خِلَاف الْآثَار**".

أي خلاف السنَّة، خلاف ما ثبت، فانظر إلى الإمام أحمد وفتنته العظيمة، وانظر إلى الفتنة التي كانت والأمر الذي ينكرونه وكيف أنه أمر في الدين، ومع ذلك نهاهم عن نزع يد من طاعة.

مثل هذه الصورة ما جاء في كتاب السنة للإمام الحسن بن علي البربهاري–رحمه الله–لما قال: "**إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنَّة إن شاء الله. يقول الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر بأن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وعلى المسلمين، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين**".

والحقيقة هذا كان حال السلف، أنهم يعلمون الفرق بين الهوى ومتابعة السنَّة.

وانظر إلى الحَجَّاج وكيف اشتهر أمره في الأمة بالظلم والغشم والإسراف في سفك الدماء وانتهاك الحرمات وقتل من قتل من سادات التابعين كسعيد ابن جبير، وكيف أنه حاصر ابن الزبير وقد عاداه في الحرم واستباح الحرمة وقتل ابن الزبير، مع أن ابن الزبير أعطاه الطاعة، وبايعه عامة أهل مكة والمدينة، ومع هذا كله لم ينزع ابن عمر يدًا من طاعة للحجاج ولا لمن وراءه، كان

(1) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (117/2).

ابن عمر ممن أدرك الحجاج من أصحاب النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لكن ما كانوا ينازعونه ولا يمتنعون من طاعته، وأيضًا مثله كان ابن المسيب والحسن البصري وابن سيرين وإبراهيم التيمي وأشباههم ونظرائهم من سادات الأمة، واقرأ في التاريخ ليتبين لك موقف من كانوا على السنَّة.

ثم إننا عندما نناقش هذه المناقشة يأتي أحد يقول: **من المستفيد من بيان هذا الأمر؟** كل هذا يؤيد ضرورة الاهتمام بهذا الأصل ونحن نعيش الآن اجتماع أمرين:

- غلبة الجهل في هذا الأمر.
- فشو الأفكار المنحرفة.

ما الواجب علينا؟ الواجب علينا الالتزام بالميثاق الذي أخذه الله علينا، أهل العلم وطلبة العلم أخذ الله عليهم ميثاق التبيين وعدم الكتمان، فيأتي أحد يقول: عندما تتكلم في هذا الأمر مَن المستفيد؟!

يقصد همزًا ولمزًا أن المستفيد هم ولاة الأمر، وهذا والله جهل مفرط أصلًا مبني على سوء الاعتقاد فيما يجب لولاة الأمر أبرارًا كانوا أو فجارًا، ولو فكرنا قليلا سنجد أن الفائدة مشتركة بين الراعي والرعية، بل ستجد أن الرعية أكثر فائدة من الراعي، ولا يأتي أحد يقول لك: (هذا الكلام ليس وقته)، متى سيكون وقته؟! إذا طارت الرؤوس وسُفكت الأموال؟ عندما تعم الفوضى ويُرفع الأمن؟!

هذا الكلام لابد أن يكرر ويكرر، ويجب أن يُفهم بدقة، لأنه كم من شخص كنا نظن أنه يعي فلُبِّس عليه، ويكفيك في هذا كله حديث واحد يُنهي نقاشًا طويلًا يُتداول اليوم، وهو قول الرسول-صلى الله عليه وسلم-: **"من خرج على السلطان شبرًا فمات مات ميتة جاهلية"**[1] وأنا مناقشتي الآن حول **"شبرًا"**، **ماذا تظن شبر الخروج؟** أتظن شبر الخروج خروجا بجيش جرار؟!

سترى من كلام السلف في فهم **"شبرًا"** ما يصف لك الحال اليوم، فنحن نرى مفارقة ليست بالشبر، إنما بالكيلومترات والأميال.

في أول هذا الحديث: **"من كره من أميره شيئا فليصبر-وفي رواية فليصبر عليه-فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه** [أي مات وهو خارج عن السلطان] **إلا مات ميتة جاهلية"**.

قال ابن أبي جمرة: **"المراد بالمفارقة: السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكنَّى عنه بمقدار الشبر"**.

(1) البخاري (7054)، ومسلم (1849).

أي تصور أن الشبر هذا تمثيل للتصرف، أي أن شخصًا يتصرف أدنى تصرف يكون سببًا لحل عقدة البيعة مع الأمير المستقر، مع من هو الآن في الإمارة، شخص يتحرك أدنى تحرك–ولو بمقدار شبر–من أجل أن يحل عُقدة عَقد هذا الأمير، هذا لو مات مات ميتة جاهلية، والمراد بالميتة الجاهلية ليس الكفر، بل المراد أنه يموت حاله كحال أهل الجاهلية، أي على ضلال، فأهل الجاهلية لم يكن لهم إمام مطاع، والمقصود أنه يموت عاصيًا، واقرأ هذا الكلام في شرح هذا الحديث عند ابن حجر.

"من خرج على السلطان شبرًا"، معنى الشبر: يقول ابن حجر: هذه كناية، نقلًا عن ابن أبي جمرة. وهذا فهم السلف وأهل السنَّة، فبهذا نطرد أولًا هذا الفكر الذي يرى أنه لا خروج إلا بسلاح، هذا السلاح مرحلة متقدمة، لكن تخرج لتحل عقد الإمام القائم فقد خرجت، اسمك: خارج.

- سنذكر في هذا الباب بعض القواعد التي عليها أهل السنَّة والجماعة تتصل بالإمامة:

أولًا: يجب عقد البيعة للإمام القائم المستقر المسلم.

وقد وردت نصوص في التغليظ على من ليس في عنقه بيعة، والبيعة لا تكون للأحزاب، ولا تكون للانقسامات الداخلية، إنما تكون البيعة لولي الأمر الذي اجتمع عليه المسلمون في هذه البلاد، في كل بلد اجتمع المسلمون على ولي أمر هذا وليهم، فيجب عقد البيعة لهذا الإمام المستقر المسلم، ولا تستطيع أن تنزع منه اسم الإسلام إلا إذا أتى بكفر بواح لك فيه من الله برهان، وانظر إلى موقف عبد الله بن عمر، وهذا الموقف أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، أن عبد الله بن عمر جاء إلى عبد الله بن مطيع حين كان أمر (الحرّة)،–والحرة حدث حصل في شمال المدينة وكان فيها رأس قريش في ذاك الوقت ابن الزبير، وهذا كله في زمن يزيد بن معاوية–فقال عبد الله بن مطيع لما دخل عليه ابن عمر: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة [أي من أجل أن يجلس] فقال ابن عمر: إني لم آتيك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت–صلَّى الله عليه وسلَّم–يقوله وقال: سمعت الرسول–صلَّى الله عليه وسلَّم–يقول: **"مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لقيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"**[1].

فابن عمر يخاطب عبد الله بن مطيع، وعبد الله بن مطيع–رضي الله عنه–له صحبة، لكن لما كان أمر ابن الزبير وأتت وقعة الحرة، وهي أن أهل المدينة خرجوا على يزيد لقلة دينه، فحاربهم يزيد، وكان سبب خلع أهل المدينة يزيد أنه أسرف في المعاصي، فانظر إلى موقف عبد الله بن عمر تجاه هذا الأمر.

ثم انظر له مرة أخرى–في نفس وقت الحرة لما خلع الناس يزيد ابن معاوية–جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال: أما بعد فإنا بايعنا هذا الرجل على فسقه [يقصد يزيد]، قال: بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت الرسول–صلَّى الله عليه وسلَّم–يقول: **"إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هَذِا غَدْرَةُ فُلاَنٍ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ إلاّ أن يكون**

(1) صحيح مسلم (1851).

الإِشْرَاكِ بِاللَّهِ –قصد بعد الإشراك بالله] **أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وبَيعِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَنْكُثُ بَيْعَتَهُ فَلاَ يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ وَلاَ يُسْرُفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الأَمْرِ"**[1].

وانظر إلى هذه الجملة العظيمة **"وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ، وَلاَ بَايَعَ فِي هَذَا الأَمْرِ، إِلَّا كَانَتِ الفَيْصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ"**[2]، أي أن ابن عمر سيهجر أهل بيته وأبناءه إذا خلع أحد منهم يزيد، هل لأن يزيد مرضي عنه؟ لا، يزيد كان معروفا بالفسق، لكن لأن خلع اليد من الطاعة ليس الفسق سببًا له.

وهذا كلام ابن حجر على الحديث، قال: (وَفِي هَذَا الْحَدِيث وُجُوب طَاعَة الْإِمَام الَّذِي اِنْعَقَدَتْ لَهُ الْبَيْعَة وَالْمَنْع مِنْ الْخُرُوج عَلَيْهِ وَلَوْ جَارَ فِي حُكْمه وَأَنَّهُ لَا يَنْخَلِع بِالْفِسْقِ).

إذًا هنا تبين لنا أن ولي الأمر ولو كان موصوفًا بالجوْرِ والفسق لا تنخلع ولايته، وأيضًا نحتاج أن نقف أمام هذه الرواية التي ذكرها ابن كثير لنحرر هذه الاتهامات بالفسق، فاتهام ولي الأمر بالفسق يحتاج منا إلى كثير من التحرير، وإلا سيكون بهتانًا، سأذكر كلامًا للحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" إن شاء الله يكون مبينًا لكم تحرّز السلف من الاتهام:

قال الحافظ ابن كثير: **ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ** [الذي أتاه ابن عمر ونهاه عن الخروج على يزيد عندما اجتمع أهل المدينة في حادثة الحرة، وكان عليهم ابن الزبير وعبد الله بن مطيع] **وَأَصْحَابُهُ إِلَى مُحَمَّدِ بن الحنفية** [ابن علي رضي الله عنه] **فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم.**

– **فَقَالَ ابْنُ مُطِيعٍ: إِنَّ يَزِيدَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ وَيَتَعَدَّى حُكْمَ الْكِتَابِ.**

– **فَقَالَ لَهُمْ: مَا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا تَذْكُرُونَ، وَقَدْ حَضَرْتُهُ وأقمت عنده فرأيته مواظبا عَلَى الصَّلَاةِ مُتَحَرِّيًا لِلْخَيْرِ يَسْأَلُ عَنِ الْفِقْهِ مُلَازِمًا لِلسُّنَّةِ.** [هذا كله في الثناءً على يزيد].

– **قَالُوا: فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ تَصَنُّعًا لَكَ.**

– **فَقَالَ: وَمَا الَّذِي خَافَ مِنِّي أَوْ رَجَا حَتَّى يُظْهِرَ إِلَيَّ الْخُشُوعَ؟ أَفَأَطْلَعَكُمْ عَلَى مَا تَذْكُرُونَ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ؟ فَلَئِنْ كَانَ أَطْلَعَكُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنَّكُمْ لَشُرَكَاؤُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَطْلَعَكُمْ فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَشْهَدُوا بِمَا لَمْ تَعْلَمُوا.**

– **قَالُوا: إِنَّهُ عِنْدَنَا لَحَقٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَأَيْنَاهُ.** [يعني مصرّون على أن رأيهم هو الصواب وأنه يشرب وهو عندهم حق ولو ما رأوه].

– **فَقَالَ لَهُمْ: أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الشَّهَادَةِ، فَقَالَ:** {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}[3]. **ولست من أمركم في شيء.** [يعني لا أوافق على ما تفعلون].

---

(1) صحيح البخاري (7111) كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه. ورواه أحمد بهذا اللفظ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) لفظ البخاري.

(3) [سورة الزخرف: 86]

- قَالُوا: فَلَعَلَّكَ تَكْرَهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْأَمْرَ غَيْرُكَ فَنَحْنُ نُوَلِّيكَ أَمْرَنَا.
- قَالَ: مَا أَسْتَحِلُّ الْقِتَالَ على ما تُرِيدُونَنِي عَلَيْهِ تَابِعًا وَلَا مَتْبُوعًا.
- ثم قالوا: فمر ابنيك أبا القاسم وَالْقَاسِمَ بِالْقِتَالِ مَعَنَا.
- قَالَ: لَوْ أَمَرْتُهُمَا قَاتَلْتُ.
- قَالُوا: فَقُمْ مَعَنَا مَقَامًا تَحُضُّ النَّاسَ فِيهِ عَلَى الْقِتَالِ. [أي لا تذهب للقتال، فقط حض الناس وشجعهم].
- قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ !! آمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا أَفْعَلُهُ وَلَا أَرْضَاهُ إِذًا مَا نَصَحْتُ لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ.

ثم خرج محمد ابن الحنفية إلى مكة.

فانظر إلى هذه الحال، وكيف أنكر عليهم الاتهام، وكيف الهوى يحكم أحيانًا الخلق.

المقصد: **أن من تولى لا يصح الخروج عليه ولا شبر، ولا يسعى أحد في حل عقد الإمامة.**

- **القاعدة الثانية: أن من غلب فتولى الحكم و استتب له فهو إمام.**

في زمن ابن عمر رضي الله عنه حصل من القتال ثم اجتمعوا على عبد الملك، وابن عمر–رضي الله عنه–ما دخل في أي مخالفات ولا قتال؛ لأنه كان بين عبد الملك بن مروان وبين عبد الله بن الزبير–رضي الله عنه–نزاع، ماذا فعل ابن عمر في تلك المدة؟ امتنع أن يبايع لا لابن الزبير أو لعبد الملك، لما غلب عبد الملك واستقام له الأمر بايعه ابن عمر.

فأنت الآن في وسط الهرج إذا كان هناك أمير موجود على البلاد هذا هو ولي أمرك فلا تنزع يدًا من طاعة، لكن إن اختصموا وتقاتلوا هنا تبتعد عن مبايعة أي أحد، إن استتب الأمن لأحدهما ستبايع من استتب له الأمر واستقام.

يقول الشافعي: "كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يُسمى خليفة ويُجمع الناس عليه فهو خليفة"[1].

- **القاعدة الثالثة: أن الأئمة الذين أمر النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–بطاعتهم هم الأئمة الموجودون المعلمون الذين لهم قدرة وسلطان.**

بمعنى: لا يبايع الشخص أميرًا غائبًا، أو مفقودًا، أو في السرداب، إلى آخر هذه الأمور؛ لأن المقصود من وجود أمير وولي أمر أن يسوس الناس، وأن يحكم البلاد ويحفظ أمنها، فإذا لم يكن كذلك فلا فائدة من مبايعته.

(1) ذكره البيهقي في كتاب "مناقب الشافعي".

- **القاعدة الرابعة: ورد في الشريعة الأمر بتوقير الأمراء واحترامهم.**

ورد عند ابن أبي عاصم في السنَّة بوجه صحيح عن معاوية بن أبي سفيان قال: لما خرج أبو ذر إلى الربذة لقيهُ ركبٌ من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذر، قد بلغنا الذي صُنع بك، فاعقد لواء يأتِك رجالٌ ما شئت. [يعني: قرِّر أن تخرج، هذا حصل في زمن عثمان-رضي الله عنه-وخرج أبو ذر من المدينة إلى هذه المنطقة، فتطاير الخبر لأهل العراق، فأتوا إلى أبي ذر، لقيه ركب فقالوا له ذلك، فانظروا إلى رد أبي ذر-رضي الله عنه-] قال: مهلًا مهلًا يا أهل الإسلام، فإني سمعت الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: **"سيكون بعدي سلطان فأعزّوه، من التمس ذُلَّه ثغرَ ثغرًة في الإسلام، ولم يُقبل منه توبة حتى يُعيدها كما كانت"**[1].

"من التمس ذله": أي من نقّب عن ضعفه ونشره، ثم هيج العامة "ثغر ثغرة في الإسلام ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت".

ثم انظر إلى موقف أبي ذر كيف كان حصيفًا؛ لأنه إذا حاول أحد أن يقلل من هيبة العلماء والأمراء ضاع الشرع والأمن، فإذا تكلم الناس في الأمراء تمردوا، فيحصل الشر والفساد.

وليُعلم أن من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام، العبرة ليست بالثورة والانفعال، لكن العبرة بالحكمة.

ورحم الله سهل بن عبد الله التستري حينما قال: "لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، فإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم"[2].

وقد وردت النصوص الكثيرة التي تنهى عن سب الأمراء والوقيعة في أعراضهم وذكر معائبهم، وليُعلم أن نواة الخروج هو الكلام عن العيوب، وعلى القاعدة الأصلية: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)**[3]، ومن سلم المسلمون من لسانه ويده كان خير الإسلام[4].

وفي سنن الترمذي: عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ: انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ! فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-يَقُولُ: **"مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ"**[5].

---

(1) قال الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم": إسناده صحيح.

(2) تفسير القرطبي (260/5).

(3) صحيح البخاري (كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، 6475)

(4) روى البخاري (11) عن أبي موسى الأشعري قال: "قالوا: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: مَن سلِم المسلمونَ من لسانِه ويدِه".

(5) رواه الترمذي (2224)، وقال: حسن غريب. وحسنه الألباني.

فعلى هذا يكون الكلام عنهم غيبة لكن ليست كأي غيبة، فإهانتهم سبب لتقليل مكانتهم ومن ثم زعزعة الأمن في قلوب الناس.

ولا بد أن يُعلم أن هذا النهي ليس تعظيمًا لذواتهم، وإنما هو لعظم المسؤولية التي وكلت إليهم، ولا يمكن أن يقوموا على الوجه المطلوب بها مع وجود سبِّهم والوقيعة فيهم، فحين نسبّهم أمام الناس لن يطيعوهم، وسيقع إيغار صدور العامة عليهم، وسيكون هذا فتحًا للفوضى، وأنت تعلم يقينًا أن الفوضى لا تأتي على الناس إلا بالشر المستطير، ومطاف سبهم لابد أن ينتهي بالخروج عليهم وقتالهم، ووالله تلك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى.

فالنهي صريح، فمن كان في قلبه إيمان ومعظّمًا لشرع الله لا بد أن يمسك عليه لسانه، وقد ورد في الأثر في "الجامع لشعب الإيمان" من كلام أنس–رضي الله عنه–قال: **"نهانا كبراؤنا من أصحاب الرسول–صلَّى الله عليه وسلَّم–ألا تسبوا أمراءكم ولا تغشّوهم ولا تعصوهم واصبروا واتقوا الله فإن الأمر قريب"**[1]، فهذا معناه أن هذا مما يُتواصى به.

قال ابن أبي شيبة–رحمه الله–: حدثنا ابن عيينة عن إبراهيم عن طاووس قال: **ذكرت الأمراء عند ابن عباس** [الأمراء ذُكروا في مجلس ابن عباس] **فانبرك فيهم رجل** [أي اجتهد في ذمهم]، **فتطاول حتى ما أرى في البيت أطول منه فسمعت ابن عباس يقول: "لا تجعل نفسك فتنة للقوم الظالمين"**[2]. يقصد هذا الرجل الذي تكلم في الأمراء أنه سيكون فتنة للقوم الظالمين، أي سيكون سببًا وشرارة لهؤلاء القوم الذين في نفوسهم استعداد للخروج وللانفلات.

وأيضًا أخرج ابن عبد البر في التمهيد بسنده عن أبي الدرداء–رضي الله عنه–قال: **"إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه"**. أي: من إشارات النفاق الطعن على الإمام، أي ذكر مثالبه وعيوبه.

وكما اتفقنا أن هذا ليس تمجيدا له ولا اعتقادا أنه ليس له أخطاء، لكن لا بد أن تفهم أن هذا كله مبني على النصوص، فتعال معي نرى كيف فهم السلف هذا الأمر، وكيف أوجبوا السمع والطاعة، وكيف منعوا الخروج.

سنقرأ من النصوص التي وردت في (صحيح البخاري، كتاب الفتن)، نصوص صريحة في الكلام عن موقفنا من الخروج:

- **يقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: "إنكم سترون بعدي أثرة، وأمورا تنكرونها، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"**[3].
- **وقال–صلى الله عليه وسلم–: "إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها"، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله، قال: "أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم"**[4].

(1) رواه ابن أبي عاصم في "السنة"، وقال الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة": إسناده جيد. ورواه البيهقي في "شعب الإيمان".
(2) مصنف ابن أبي شيبة (37309).
(3) صحيح البخاري (7057).
(4) صحيح البخاري (7052).

أما "أثرة" فمعناها: الاستئثار بالدنيا، والطمع، ومنع الناس حقوقهم.

وأما "أمورا تنكرونها": فالمقصود في الدين.

ما الحل يا رسول الله؟ قال: **"اصبروا حتى تلقوني على الحوض"**

إذًا لا يُنكر أن الاستئثار بأمر الدنيا موجود، وأن ظلمًا وجورًا قد يكون موجودًا، لكن مع ذلك لم يأمر النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-بالخروج، بل أمر بالصبر.

يأتيك من يقول لك: "إلى متى الصبر؟ صبرنا سنين!". نقول: بيَّن لك-صلى الله عليه وسلم-: **"اصبروا حتى تلقوني على الحوض"**.

ثم إنه ليس كل أحد سيلقى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-على الحوض، إن أقوامًا عليها سمات أهل الإسلام غرًّا محجلين يُمنعون من الحوض، تمنعهم الملائكة، وهذا ما قرره البخاري في أول باب في كتاب الفتن، قرر أن هناك جماعة تمنعهم الملائكة من الحوض، لماذا؟ **"لا تدري ماذا أحدثوا بعدك"**[1] فعندما تنظر إلى النصوص كلها معًا تفهم أن هذه الجماعة لم تصبر حتى تلقى النبي-صلى الله عليه وسلم-، بل استعجلت، مع أن الواجب عليها كان أن تصبر حتى تلقاه-صلى الله عليه وسلم-.

وفي الرواية أخرى: **"أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم"**.

نعم، لكم حق لا يُنكر، وقد هُضم، لكن ما المطلوب منكم؟ في الرواية الأولى: **"فاصبروا حتى تلقوني"** وهنا: **" أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم"**، وفي الرواية التي مرت معنا: **"من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية"**[2] وفي الرواية الثانية **"فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية"**[3] فهذا كله يدل على ما هو المطلوب منك، لا يُنكر أن لك حقًا، لكن بين أن تصبر حتى تلقى النبي-صلى الله عليه وسلم-، وبين أدّوا الذي لهم وسلوا الله حقكم.

ثم انظر إلى هذا الحديث:

- **عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج فقال: "اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم"، سمعته من نبيكم-صلى الله عليه وسلم-**[4].

ماذا تنتظر؟ اصبر، فإن ما هو آت لا بد أن يكون شرًّا مما كان، وهذا خبر من الصادق-صلى الله عليه وسلم-.

ثم اعلم أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أخبر عن هذه الفتن فقال:

---

(1) البخاري (7049)، ومسلم (2860).

(2) البخاري (7053). ومسلم (1849).

(3) البخاري (7054)، ومسلم (1848).

(4) البخاري (7068).

- **"ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي"**[1].

فالمعنى أنك كلما ابتعدت عنها ولم يكن لك فيها نصيب كنت من أهل السلامة، ونحن في هذا كله نريد أن نفهم ماذا يجب أن يكون موقفنا.

سيبقى معنا حديث مهم من صحيح البخاري وهو حديث أبي بكرة وموقفه في الفتنة، وقوله: **"لو دخلوا عليَّ ما بهشت بقصبة"**[2]، أي كيف يصل الإنسان إلى غاية السلامة من الفتنة لدرجة أنه لو أحد من هؤلاء المعتدين الخارجين دخلوا عليه يهاجمونه ما مد يده ليقتلهم.

انتهى لقاؤنا اليوم، نسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يجعلنا ممن اهتدى بنور القرآن وبسنة النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–وانتفع بهما فكان ممن ينجو في الفتن.

أسأله–سبحانه وتعالى–أن يجمع لنا بين العلم والتقوى، وأن يرفع درجاتنا ويصرف عنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله

(1) البخاري (7081).

(2) البخاري (7078).

اللقاء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الثاني من فقه الفتن

(ألقي يوم الجمعة 1432/3/8)

عناصر الدرس:

- **التقوى تستلزم الاستسلام للنصوص الصريحة وعدم تأويلها.**
- **صلاح الحكام وفسادهم تابع لصلاح محكوميهم وفسادهم ومن جنس أعمالهم.**
- **مسائل في الإنكار على الحكام.**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده-سبحانه وتعالى-ونشكره أن مَنّ علينا بالأمن والأمان، ويسّر التواصل وهذه الوسائل التي هي من فضله وحده لا شريك له، ونرجوه كما يسّرها بين أيدينا أن يجعلنا ممن يستعملها فيما يرضيه، هو وليّ ذلك والقادر عليه-سبحانه وتعالى-.

مرّ معنا أمس الكلام حول: (موقفنا من الفتن) وذكرنا في ذلك مجموعة قواعد، وقدّمنا بمقدمة في الكلام عن شرّ اللسان والكلام، ثم انتهى بنا المطاف للكلام حول كتاب الفتن في صحيح البخاري، وذكرنا جزءً من النصوص التي تضبط لنا تصرُّفاتنا ومشاعرنا؛ لأن الناس اليوم على حسب صلتهم بالموضوع تهيج مشاعرهم، ومن كان أمس يَدرُس كتاب الفتن ويُدرّسه، قد يُفتن فلا يتحمّل معاني النصوص الصحيحة فيؤوّلها، ويُخرّج الأحوال التي هو فيها على مخرج مخالف للنصّ مِن أجل أن يعتذر عن أن يكون مطبِّقًا لهذا النص.

المقصد أنّ النصوص صريحة، وندعوه-سبحانه وتعالى-أن يجعلنا ممن إذا ابتُلي صبر، وإذا أُنعم عليه شكر؛ فكوننا عندما يأتي وقت الابتلاء-والنصوص محفوظة معروفة-نبذل جهودنا أن نخرج عن سنَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-، ونجعل حالنا مخالفًا لحال النصّ، هذا بعينِه الفتنة، **المفتون أعظم فتنة هو: مَن جمع بين العلم وقِلّة التقوى، أي: بين العلم ومتابعة الهوى.**

ثم إنّ الأحكام ليست لنا، ثم أنّ النصوص في هذا الباب ليست ضِمْنية، ولا قابلة للتأويل، فهي مِن أصرح نصوص الشريعة.

مرّ معنا أمس نصوص صريحة لا تحتمل التأويل فيما يجب أن يكون عليه فهمنا واعتقادنا، فالنبي-صلى الله عليه وسلم-يقول: **"إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها. قالوا: فما تأمُرُنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم"**[1].

فهذه منهجية بَيِّنة، تشخيص للحال في كلمتين، وعلاج في كلمتين.

أما تشخيص الحال: فـ "أثرة"، والأثرة والاستئثار يدورا حول الدنيا والاستئثار بالأموال، ومنع الناس حقوقهم، والمعاملة المتميّزة لهم دون الناس، وكل ما أردت أن تقولَه من الاستئثار بحقوق الخلق، يعني أن هذا حق للخلق هم يأخذونه يستأثرون به، هذا التشخيص الأول للحال.

التشخيص الثاني: "وأمورًا تنكرونها" يعني في أمر الدِّين، سأل الصحابة النبي-صلى الله عليه وسلم-فقالوا: "فما تأمرنا؟" لما يصبح الحال منكرات في الدِّين، ويصبح الحال استئثار في الدنيا، ماذا يجب علينا أن نفعل؟

الحلُّ: في كلمتين، ما هما؟ " **أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم**".

"**أدوا إليهم حقهم**" وإنما هم عليكم فتنة، إنما هم عليكم اختبار: هل أنتم تعاملون الله، أم تعاملونهم؟

"**وسلوا الله حقكم**" أنتم لكم حقّ لا يُنكر، وهذا الحقّ الذي لا يُنكر سيعطيكم إياه الله عزّ وجلّ، لا تتصوّروا أن دخولكم في الخلافات أو في المنازعات هو الذي سيأتي بحقكم، إنما الحقيقة أن الذي سيأتي بحقكم هو الله-سبحانه وتعالى-، لكن هذا لما يرى منكم أداء لحقوقهم.

(1) صحيح البخاري (كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سترون بعدي أمورا تنكرونها»، 7052)

ولهذا انظر إلى هذا الكلام من ابن القيم الذي يصف علاقة أولياء الأمور مع الناس، وكيف أن التفريط من الطرف الأول وهم (المحكومون) في أداء حقّهم كان سببًا لأن يبتلي الله–عزّ وجلّ–الخلق بمثل هؤلاء.

يقول ابن القيم: "وتأمَّلْ حِكمتَه تعالى في أن جعَلَ مُلوكَ العِبادِ وأُمراءَهم ووُلاَتَهم مِن جِنس أَعمالِهم بل كأنَّ أَعمالَهم ظهرَت في صُوَر وُلاَتهم ومُلوكِهم [يعني عملك كأنه ظهر في صورة وليّك]،فإنْ استَقامُوا استَقامَت مُلوكُهم، وإن عدَلوا عدَلَت علَيهم، وإن جارُوا جارَت مُلوكُهم ووُلاَتُهم، وإن ظهَرَ فيهم المكرُ والخَداع فوُلاَتُهم كذَلكَ، وإن مَنَعوا حُقوقَ الله لدَيهم وبَخِلوا بها، مَنعَت مُلوكُهم ووُلاَتُهم مَا لهم عندَهم مِن الحقّ، وبَخِلوا بها علَيهم، وإن أَخَذوا مِمَّن يَستَضعِفونه مَا لاَ يَستَحقُّونه في مُعاملتِهم، أَخذَت مِنهم المُلوكُ مَا لاَ يَستَحقُّونه وضَرَبَت علَيهم المُكوسَ [يعني الضرائب]، وكلُّ مَا يَستَخرِجونَه من الضَّعيفِ [أي: عامة الناس] يَستَخرِجُه الملوكُ مِنهم بالقوَّة، فأعمالُهم ظهَرَت في صُوَرِ عُمَّالِهم، وليسَ في الحِكمةِ الإلهيَّةِ أن يُوَلَّى على الأَشرارِ الفجّارِ إلاَّ مَن يَكونُ مِن جِنسِهم".

هو يتكلم عن الأغلب، يعني **إذا غلب الصلاح كان الولاة صالحين، إذا غلب الفساد كانوا من جنسهم.**

قال: "ولمَّا كانَ الصَّدرُ الأوّلُ خِيار القُرونِ وأبرَّها، كانَت ولاَتُهم كذَلكَ، فلمَّا شابُوا –أي: دخلهم الشوب اختلطوا–شابَت لهم الولاَةُ، فحِكمةُ الله تأبَى أن يُوَلَّي علَينا في مِثل هَذهِ الأَزمانِ مِثلُ مُعاويةَ وعُمرَ بنِ عَبدِ العَزيز، فَضلًا عن مِثل أبي بَكرٍ وعُمرَ، بَل ولاَتُنا على قَدْرنا، ووُلاَةُ مَن قَبلَنا على قَدرِهم، وكلٌّ مِن الأَمرَين مُوجَبُ الحِكمةِ ومُقتَضاها، ومَن له فِطنةٌ إذَا سافَرَ بفِكرِه في هَذا البابِ، رأَى الحِكمةَ الإلهيَّة سائرَةً في القَضاءِ والقَدَر ظَاهرةً وبَاطنةً فيهِ، فإيَّاكَ أن تظنَّ بِظنَّك الفاسدِ أنَّ شَيئًا مِن أَقضيتِه وأَقدارِه عارٍ عن الحِكمةِ البَالغةِ، بل جَميعُ أَقضيَته تعالى وأَقداره وَاقعة على أتمِّ وُجوهِ الحِكمةِ والصوابِ، ولَكن العُقولَ الضَّعيفةَ مَحجوبةٌ بضَعفِها عن إدراكِها"[1].

انتهى المقصود من نقل عن ابن القيم، سأنقل ما يشابهه عن ابن تيمية–رحم الله الجميع–:

يقول ابن تيمية: "إنَّ مَصيرَ الأَمْرِ إلَى المُلُوكِ ونُوَّابِهِم مِن الوُلاَةِ والقُضَاةِ والأُمَرَاءِ لَيْسَ لِنَقْصٍ فِيهِمْ فَقَطْ، بَلْ لِنَقْصٍ فِي الراعِي والرعِيَّةِ جَمِيعًا؛ فَإِنَّهُ كَمَا تَكُونُونَ يُوَلَّى عَلَيْكُم، وقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا}، وقَد اسْتَفَاضَ وتَقَرَّرَ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ مَا قَدْ أَمَرَ بِهِ النبي–صلى الله عليه وسلم–مِنْ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ الله ومُنَاصَحَتِهِمْ والصبْرِ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِمْ وقِسْمِهِمْ"[2].

تبيّن المقصود من كلامه أنه مطلوب منا أن نعتقد أمرين:

- **أولاً:** أن ما هو حاصل حولنا اليوم لا يتحمّل طرف واحد سببُهُ، إنما نحن ندفع ثمن انتشار الفسق والفجور.
- **ثانيًا:** أن عدم قيامنا بالحقوق في خاصة أمرنا سببٌ لتسليط الله–عزّ وجلّ–علينا.

(1) "مفتاح دار السعادة".

(2) "مجموع الفتاوى".

هناك جملة مشهورة من كلام ابن الجوزي سأذكر جزء منها والباقي في موطنه..

قال ابن الجوزي: "إن جور الملوك نقمة من نقم الله تعالى".

المقصود أنه نوع من أنواع الجزاء.

اتفقنا أن حديث النبي-صلى الله عليه وسلم-الذي ورد في صحيح البخاري حدَّد المرض وحدد العلاج:

المرض:

- "سترون بعدي أثرة" في أمر الدنيا.
- "وأمورا تنكرونها" في أمر الآخرة.

العلاج أيضًا من شقين:

- "أدوا إليهم حقهم" يعني بالسمع والطاعة وعدم الخروج عليهم والقيام بالوظائف.
- "وسلوا الله حقّكم" أيضًا هذه وظيفة علينا مبنية على اعتقاد أن الأمر أمر الله والملك مُلكه.

فلو كان الإنسان في الفتن-سواء ضج بالبطالة والفقر، أو نَقَصَ عليه شأن من شؤون الدنيا، أو تبيّن لسبب أو لآخر أن فسادًا أوقع خرابًا في البلاد-، ما هو المطلوب بعدما تؤدّي إليهم حقّهم في عدم الخروج، والقيام بوظائفك؟

المطلوب: أن تجمع قلبك على الله، وأن تسأل مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، تسألُهُ وأنت تعلم أنّه على كل شيء قدير أن يُعطيك حقّك.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "إن جور الملوك نقمة من نقم الله، ونقم الله لا تُلاقى بالسيوف، وإنما تُتقى وتُسْتدفع بالدعاءِ والتوبةِ والإنابةِ والإقلاعِ عن الذنوب، إن نِقمَ الله متى لُقيت بالسيوف، كانت هي أقطع"[1].

أي: كانت النقمة أسرع في الوقوع على الناس، فهذا ما نعتقدُه، وهذا ما يجب أن نفعلُه.

- **ما نعتقده:** أن المُلك مُلك الله.
- **ما يجب أن نفعله:** أن نسأل الله حقنا.
- **ما يُتداول بين الناس:** أن هذا ضعف، أن هذا تخاذل، أن هذا سلبية...

المسألة تحتاج صبر على طاعة الله، عدم الاستجابة للهوى والحماس.

والنبي-صلى الله عليه وسلم-أيضًا في حديث ابن عباس يقول:

(1) ذكره ابن الجوزي عن الحسن البصري في كتاب "آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه ".

"مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[1]، وقد اتفقنا في اللقاء الماضي أن معنى "شبرًا": كناية على أقل ما يكون من الخروج، ولو بأدنى شيء، ومعلوم أن هذه الكناية للمبالغة، من أجل أن تمنعنا من المخالفة.

كيف سيخرج شبرًا؟ أيُّ سعي في حَلِّ عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، وعلى هذا لابد أن يكون الإنسان في حال الفتنة واعيًا لمصائد الشيطان ومهالكه.

ننتقل لجهة أخرى من النقاش:

سمعنا الأحاديث التي تأمرنا بالصبر، يأتي هنا سؤال عن أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف نترك الولاة ولا ننصحهم؟

نرتب مسألة الإنكار على ولي الأمر في أربعة نقاط:

1. النقطة الأولى: **وجوب السمع والطاعة في غير معصية.**

يجب علينا أن نسمع ونطيع في غير معصية، وإن جاروا وظلموا، وإن فسقوا وفجروا.

يقول الحسن البصري: "هؤلاء [أي: الأمراء] وإن رقصت بهم الهماليج [نوع من الدواب العظيمة] ووطئ الناس أعقابهم [يعني من عظمتهم الناس يمشون وراءهم]، فإنّ ذلّ المعصية في قلوبهم، إلا أن الحقّ ألزمنا طاعتهم، ومنعنا من الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرَّتهم، فمن أراد به خيرًا [أي: من أراد الله به خيرًا] لزم ذلك، وعملَ به ولم يُخالِفه"[2].

ومر معنا في الأحاديث ما معنى أن تسمع وتطيع: أي مع الاستئثار يجب عليك طاعة ولي الأمر مادام أنَّ لا معصية تُؤمر بها، وإن منعوا حقوقك. وقد ورد في صحيح مسلم ما يؤيد ما درسناه في صحيح البخاري عن هذا المعنى:

سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–فَقَالَ: **يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ"**[3].

والمعنى أنّ الله تعالى حمّل الولاة وأوجب عليهم العدل بين الناس، فإذا لم يقوموا به، أثِموا، وحمّل الرعية السمع والطاعة لهم، فإن قاموا بذلك، أُثيبوا عليه، وإلا أثموا.

(1) رواه البخاري (كتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، 7053)

(2) "آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه " لابن الجوزي.

(3) رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب فِي طَاعَةِ الأُمَرَاءِ وَإِنْ مَنَعُوا الْحُقُوقَ، 4888)

2. النقطة الثانية: ما حدود السمع والطاعة؟

أخرج مسلم في صحيحه عن حُذَيْفَةَ بْن الْيَمَانِ–رضي الله عنهما–قال:

"قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: كَيْفَ؟

قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ!

قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟

قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ"[1].

فتصوّر هذه الحال والنبي–صلى الله عليه وسلم–وصَف هؤلاء الأئمة بأنهم لا يهتدون بهدي النبي–صلى الله عليه وسلم–ولا يستنون بسنته، وهذا في غاية الضلال والفساد، ومع ذلك أمر النبي–صلى الله عليه وسلم–بطاعتهم في غير معصية، يعني إذا أمرك بمعصية لا تطعه، لكن إذا كان في حاله فاسقًا وفي تصريفه للأمور بعيدًا عن الهدي وعلى غير سنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–، ولم يأمرك بمعصية، ما هو المطلوب منك؟ أن تطيع، حتى لو بلغ الأمر إلى ضَرْبك وأخْذ مالك، فلا يحملنَّكَ ذلك على ترك طاعتهم، لماذا؟ لأن فِعْلهم وجُرْمهم سيحاسبون عليه أشد الحساب، لكن أنت لو قادك الهوى إلى مخالفة هذا الأمر الشرعي فلا سمعت ولا أطعت سيلحقك الإثم، وهذا ظلم، فاصبر واحتسب واسأل الله الفرج.

وقد قال الإمام أحمد: "اصبروا حتى يستريح بَرّ ويُستراح من فاجر"[2]، يعني اصبروا حتى يُزيله الله، وذاك الوقت بَرٌّ يستريح، ويستريح الناس من الفُجّار.

وقد ورد في صحيح مسلم قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: **"خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ"**

---

(1) رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب الأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَتَحْذِيرِ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ، 4891)

(2) رواه الخلال في السنة [1 /132] وابن مفلح في الآداب الشرعية [1 /221] .

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟

فَقَالَ: "لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ"[1].

وورد في صحيح مسلم: **"مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي"**[2].

كل هذه الأحاديث في وجوب طاعة ولاة الأمر، وهذا كله مقيد بغير الأمر بالمعصية.

السؤال: إلى متى سيكون؟

الجواب كما في البخاري ومسلم في حديث عبادة بن الصامت: **"دَعَانَا النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَبَايَعْنَاهُ فَكان فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قال: "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ"**[3].

يعني عندما ترى كُفرًا بواحًا ذاك الوقت يصحّ عدم الطاعة.

وانظر إلى موقف أبي ذرّ لما قدم على عثمان من الشام:

قَدِمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى عُثْمَانَ مِنَ الشَّامِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، افْتَحِ الْبَابَ حَتَّى يَدْخُلَ النَّاسُ، أَتَحْسِبُنِي مِنْ قَوْمٍ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ؟! يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ عَلَى فُوقِهِ؟ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْعُدَ لَمَا قُمْتُ، وَلَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَكُونَ قَائِمًا لَقُمْتُ مَا أَمْكَنَتْنِي رِجْلاَيَ، وَلَوْ رَبَطْتَنِي عَلَى بَعِيرٍ لَمْ أُطْلِقْ نَفْسِي حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تُطْلِقُنِي، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّبَذَةَ، فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَاهَا...[4]

وقد مر معنا أمس كلامه لَمَّا لقيه الركب من العراق وقالوا له: "اعقد لواء يأتوك الناس".

المقصد أننا سنسمع ونطيع ما دمنا لم نُؤمَر بمعصية، هذا حدّ السمع والطاعة، إذا أمرنا بمعصية لا نسمع ولا نطيع.

3. النقطة الثالثة: وردت نصوص كثيرة في الحث على إنكار المنكر، فكيف يكون إنكاره على الولاة؟

(1) رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب خِيَارِ الأَئِمَّةِ وَشِرَارِهِمْ، 4910).

(2) رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِى غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِى الْمَعْصِيَةِ، 4852)

(3) رواه البخاري (كتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، 7056) ورواه مسلم (كتاب الإمارة، باب وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِى غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِى الْمَعْصِيَةِ، 4877).

(4) صحيح ابن حبان (ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ عَلَى الْمَرْءِ عِنْدَ وُقُوعِ الْفِتَنِ السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ لِمَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يَأْمُرْهُ بِمَعْصِيَةٍ)

نعم وردت أحاديث صريحة صحيحة، منها قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: **((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))**[1] وهذا خطاب لجميع الأمة.

وقد قال ابن مسعود: **"هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر"**. قال ابن رجب: يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب هذا واجب، فرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك.

هذه النصوص تدلّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ما هي الطريقة الشرعية للإنكار على الولاة؟

هذه الطريقة مبسوطة مشروحة في كتب السنَّة:

-نبدأ بكلام ابن مفلح في "الآداب الشرعية" يقول: **"وَلَا يُنْكِر أَحَد عَلَى سُلْطَان إلَّا وَعْظًا لَهُ وَتَخْوِيفًا أَوْ تَحْذِيرًا مِنْ الْعَاقِبَة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة "**.

-وقال ابن الجوزي: **"الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلطان: التعريف والوعظ، ويُمنع من قول: (يا ظالم، يا من لا يخاف الله!) فإن ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير"**.

-أيضًا يذكر ابن نحاس في كتابه "تنبيه الغافلين" يقول: **"ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد بل يود لو كلّمهُ سرًّا ونصحه خُفية من غير ثالث لهم"**، يعني المقصود أن الإنكار سيكون خاصًّا.

من سيقوم بهذا الإنكار؟ لابد أن يقوم به من العلماء والحكماء من يستطيعُه.

وننقل هنا قصة يرويها الإمام أحمد-رحمه الله-عن شُرَيْحُ بْنُ عُبَيْدٍ الْحَضْرَمِيُّ وَغَيْرُهُ، قَالَ[2]:

جَلَدَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ صَاحِبَ دَارَا حِينَ فُتِحَتْ، [مدينة اسمها "دارا"، لما فُتحت عياض بن غنم مسك أمير دارا وجلده]

فَأَغْلَظَ لَهُ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ الْقَوْلَ حَتَّى غَضِبَ عِيَاضٌ، ثُمَّ مَكَثَ لَيَالِيَ، فَأَتَاهُ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، [يعني قائد الجيش عياض بن غنم فتح دارا وتولى شأنها، فجلد صاحب دارا، أتى من أنداده أو ممن معه (هشام بن حكيم) فأغلظ له القول يعني وبّخه على أن فعل هذا الفعل، لامه على أن جلد صاحب دارا، ثم بعد أيام اعتذر له أن وبّخه]

ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ لِعِيَاضٍ: أَلَمْ تَسْمَعِ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا أَشَدَّهُمْ عَذَابًا فِي الدُّنْيَا لِلنَّاسِ؟"[3] [يعني هشام بن حكيم يريد أن يبيّن لعياض ابن غنم سبب وعظه له بالشدة وأنه ما وعظه بهذا الوعظ إلا لأنه يخاف عليه لأنه أشد الناس عذابا أشدهم عذابًا للمؤمنين] **فَقَالَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ: يَا هِشَامُ بْنَ حَكِيمٍ، قَدْ سَمِعْنَا مَا سَمِعْتَ،**

(1) رواه مسلم (كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، 186)

(2) "المسند" (404/3).

(3) صححه الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة".

وَرَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ، [أي: كنا معك نسمع ونرى] أَوَلَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَقُولُ: **"مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلاَ يُبْدِ لَهُ عَلاَنِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ"**[1]. وهذا الحديث صححه الألباني رحمه الله.

ومِن هنا نعلم أنه يجب أن يُناصح ولي الأمر، لكن من ينصحه؟ وكيف ينصحه؟

هذان هما السؤالان اللذان افترق الناس فيهما إلى فريقين:

- من عندهم فكر الخوارج يناصحون على المنابر أو على صفحات الانترنت أو في المجالس.
- وروافض يعتقدون قُدسية ولي الأمر وأنه لا خطأ يرتكبه.

ولا هذا اعتقادنا ولا هذا اعتقادنا، **اعتقادنا**: أن ولي الأمر من جماعة المسلمين، يجب علينا نصحه، ولابد أن يكون هناك من العلماء من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا بد أن يختار الطريق التي تناسب.

وقد مرّ معنا موقف أبي بكرة رضي الله عنه:

عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ فَقَالَ أَبُو بِلاَلٍ: انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ!. فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–يَقُولُ "مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ"[2].

وهو سلطان الله في الأرض لأن الله أعطاه الْمُلك واختبره بهذا الْمُلْك.

فالمقصود أنه لابد من أمر بمعروف ونهي عن المنكر لكن بالطريقة التي أمرت بها الشريعة.

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما **عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أنه قِيلَ لَهُ–في فتنة عثمان–أَلاَ تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: "أَتُرَوْنَ أَنِّي لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ؟! وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ..."**[3].

والمقصود أن المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ أمر يُخشى عاقبته، وهذا ما حصل لما أُنكِر على عثمان–رضي الله عنه– جهارًا أمورًا أُفتُريت عليه، نشأ عن ذلك قتله–رضي الله عنه–!

وقد ذُكر عن ابن عباس أنه سُئل عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال: "إن كنتَ فاعلا ولابد ففيما بينك وبينه"[1].

---

(1) صححه الألباني رحمه الله في " ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم".

(2) رواه الترمذي (كتاب الفتن، مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ، 2388) صححه الألباني.

(3) رواه البخاري (كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، 7098) ، ومسلم (كتاب الزهد والرقاق، باب عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ، 7674).

أخرج الإمام أحمد رحمه الله بسنده:

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى وَهُوَ مَحْجُوبُ الْبَصَرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ وَالِدُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَتَلَتْهُ الأَزَارِقَةُ [وهم فرقة من الخوارج]، قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الأَزَارِقَةَ، لَعَنَ اللَّهُ الأَزَارِقَةَ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُمْ كِلاَبُ النَّارِ،

قَالَ: قُلْتُ: الأَزَارِقَةُ وَحْدَهُمْ أَمِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا. قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ، وَيَفْعَلُ بِهِمْ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ يَدِي فَغَمَزَهَا بِيَدِهِ غَمْزَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ جُمْهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ، إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ، وَإِلاَّ فَدَعْهُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ"[2].

والمقصود أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُخالف السمع والطاعة، لكن ما الطريقة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ الآن أُستحدثت وسائل حديثة يمكن بها أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لائقًا، منها البرقيات، منها الرفع لمن تعلم أنه أقرب ويسمع، ثم أنت أمامك باب الله مفتوح -سبحانه وتعالى-.

4. النقطة الرابعة والأخيرة: **مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد من الصبر على جور الأئمة.**

يمكن أن يقع جور وظلم وأثرة، ويجب علينا أداء الحق والسمع والطاعة بالمعروف، ويجب علينا عدم الخروج، ويجب علينا أن نتعبّد الله بعبادة الصبر.

جاء في "الشريعة" للآجري: عن عمرو بن يزيد أنه قال:

سَمِعْتُ الْحَسَنَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، قَالَ: وَأَتَاهُ رَهْطٌ [يزيد بن المهلب يشبه الحجاج، والحسن البصري أتاه جماعة يريدون الخروج فماذا قال لهم؟]، **فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَلْزَمُوا بُيُوتَهُمْ، وَيُغْلِقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: " وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا ابْتُلُوا مِنْ قِبَلِ سُلْطَانِهِمْ صَبَرُوا مَا لَبِثُوا أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَفْزَعُونَ إِلَى السَّيْفِ فَيُوكَلُوا إِلَيْهِ، وَوَاللَّهِ مَا جَاؤُوا بِيَوْمٍ خَيْرٍ قَطُّ، ثُمَّ تَلا قوله تعالى:** {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا}[3].

ومرّ معنا "إن جور الملوك نقمة من نقم الله، ونقم الله لا تُلاقى بالسيوف".

وكان الحجاج يقول لأهل العراق: "اعلموا أن كل ما أحدثتم ذنبا أحدث الله في سلطانكم عقوبة".

وقد قيل للحجاج إنك تفعل بأمة الرسول -صلى الله عليه وسلم- كيت وكيت، فقال **"أجل إنما أنا نقمة على أهل العراق لما أحدثوا في دينهم ما أحدثوا وتركوا من شرائع نبيهم ما تركوا".**

---

(1) رواه ابن أبي شيبة، والبيهقي في "الشعب".

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

(3) [سورة الأعراف: 137]

وقد سمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج، فقال له: **"لا تفعل رحمك الله إنكم من أنفسكم أوتيتم، إنما نخاف إن عُزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنازير!"**[1]. لأنه كما ورد في الحديث: **"لا يأتي عليكم زَمانٌ إلا الذي بعدَه شرٌّ منه"**[2].

وقد أرسَلَ أحد إلى بعض الصالحين يشكو جور العُمَّال، فكتب إليه هذا الصالح: **"يا أخي وصلني كتابك تذكر فيه ما أنتم فيه من جور العمال وإنه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة، وما أظن الذي أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب!"**.

وهذا والله ما نراه أن كل ما نجده إنما نجده من ذنوبنا.

من ابتلي بولي أمر ظالم وهو من أهل الخير والصلاح، فليعبد الله–عزَّ وجلَّ–بالصبر، فإن الصبر والرضا بما قدره الله عبادة ترفع العبد منازل.

هذا ما تيسّر ذكره في الكلام عن الفتن العظيمة التي تقصم ظهر المسلمين، أسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يكشف عنا الفتن ويردّ أهل الإسلام إلى دينهم، وأن يتولانا برحمته–سبحانه وتعالى–، وأن يجعلنا أهل تقوى لا أهل هوى...

والكلام لم ينته بعد والنقاش حول النصوص كثير، لكن فيما سمعناه غنية.

ألقاكم وقد انكشف عن المسلمين ما فيهم من بلاء، واجتمعت كلمتهم على الحق، ورُفعت راية السنَّة وانكشفت الشبهة والبدعة، ففي وقت انتشار الفتن تخبو السنة وترتفع البدعة، وها هم أهل البدعة يستعدون للقيام ببدعتهم في المولد النبوي فماذا فعلنا لحفظ سنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–وكيف انشغلنا عن ما يجري؟!

نسأل الله أن يشغلنا طاعته وأن يجعلنا ممن حافظ على السنة ونشرها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(1) "آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه " لابن الجوزي.

(2) رواه البخاري (كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، 7068)

اللقاء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الثالث من فقه الفتن

(ألقي يوم الخميس 1432/3/14)

عناصر الدرس:

- أقسام الفتن باعتبار زمن حدوثها.
- الحكمة الشرعية من إخبار النبي–صلى الله عليه وسلم–بحدوث الفتن.
- مصدر الفتن التي تقع على الأمة.
- أسباب حدوث الفتن.
- موقف المسلم من الفتن.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأله-سبحانه وتعالى-كما يسَّر لنا السبل للاجتماع حول العلم، وتدارس كتاب الله وسنَّة نبيه-صلى الله عليه وسلم-أن يجعلنا من الشاكرين على هذه النعم، ونسأله-سبحانه وتعالى-ألا يجعلنا ممن وُفرت له السبل فأعرض عنها، اللهم آمين.

لا زلنا نتكلم عن الفتن، وعن موقف المسلم تجاه الفتن، لكن في هذا اللقاء سنوسع المسألة ونتكلم عمومًا عن الفتن التي يتعرض لها الخلق في حياتهم، ومقدار الصلة بين هذه الفتن، فإن الفتن يجر بعضها بعضًا، **وموقف الإنسان من الفتنة العظيمة مبني على موقفه من الفتنة القريبة الصغيرة.**

والله-عزَّ وجلَّ-أخبرنا بحدوث الفتن في حياة المسلم، وفي حياة الأمة، وخصوصًا في آخر زمانها، وهي فتن كثيرة متعددة يرقِّق بعضها بعضًا كما ورد ذلك في الصِحاح، وكما اتفق على ذلك علماء الأمة، وبما أن الفتن أمور غيبية فإن الحديث عنها حديث عن موضوع شائك وخطير؛ لأن كثيرًا ممن يدخل في الفتن يغيب عنه وصفها أنها فتنة، وكثيرًا ممن يسمي بعض الأمور فتنة لا يكون مدركًا لحقيقة الفتنة الشرعية.

مقصدنا من مناقشة موقف المسلم من الفتن أن نتنبَّه أن الفتن يجر بعضها بعضًا، وأن موقفك من الفتنة العظيمة الكبيرة التي تكون عامة مبني على موقفك من الفتنة الصغيرة القريبة التي تخصك.

ولا تنسَ أن **أهم قواعد النجاة العامة في الفتن: "تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة".**

سنتكلم-إن شاء الله-في هذا اللقاء عن:

- أقسام الفتن باعتبار زمن حدوثها.
- وعن الحكمة الشرعية من إخبار النبي-صلى الله عليه وسلم-بحدوث الفتن.
- وعن مصدر الفتن التي تقع على الأمة.
- وأسباب حدوث الفتن.
- وأهم ما في الموضوع موقف المسلم من الفتن حين حدوثها.

- **أولًا: أقسام الفتن باعتبار زمن حدوثها:**

تنقسم الفتن باعتبار زمن حدوثها إلى قسمين رئيسيين:

– القسم الأول: الفتن العامة.

سميت فتن عامة لأنها تشمل جميع أزمنة الناس منذ أن أوجد الله–عزَّ وجلَّ–أبا البشر آدم إلى قيام الساعة، وكما اتفقنا في أول اللقاء، نذكر الفتن على وجه العموم لأنها متصل بعضها ببعض، المطلوب منك أن تفهم أن هناك صلة بين أنواع الفتن التي يعيشها الناس، سواء كانت العامة أو الخاصة، وسنرى ما وجه العلاقة لما نعدد هذه الفتن، فأول هذه الفتن العامة التي يشترك كلَّ الناس فيها:

1. فتنة الشيطان.

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنَّة تدل على أنه فتنة لنا.

2. فتنة حب العيش وكراهية الموت.

وهذه الفتنة بلا شك فتنة عظيمة، تجعل المفتون بها يتعلق قلبه بحب الحياة وطول الأمل، وشؤمها على صاحبها عظيم؛ لأن معركة عظيمة تحصل عندما يبقى الإنسان محبًّا للدنيا متمسكًا بها شاعرًا بالخلود فيها.

ويكفي أن تفهم أنك في هذه الفتنة متأسٍّ باليهود، ومقتدٍ بالمنافقين، ومخالف لسنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–، كما ورد في سورة البقرة، أخبر–سبحانه وتعالى–أن أحرص الناس على حياة اليهود والذين أشركوا، وهؤلاء لو يعمَّر أحدهم ألف سنة لا يشبع من الدنيا، وهذا التعمير ليس بمزحزحه عن النار.

المقصد أن هذه الفتنة عظيمة جدًا، موجودة في النفوس، والشيطان يقويها، أي أن هناك صلة، عندي فتنة الشيطان وعندي فتنة حب العيش وكراهية الموت ابتلي بها الإنسان، فإذا تركتها تتضخم وتركت الشيطان يغذيها سترى نفسك في كل شيء تطمع، عندما تكون مفتونًا ترى أن الزيادة في الحياة لا تقربك من الموت بل ترى أنها تسبب لك التمسك بالتوافه من الأمور قبل العظائم. الإنسان عندما يتقدم في العمر تصبح عنده إشارات كثيرة في نفسه وبدنه تقول له: أنت إلى قبرك ذاهب، فيتجاهل هذه الإشارات، ثم يزداد تمسكًا وحرصًا على الدنيا وعلى تفاصيلها كأنه فيها خالد، والحرص والتمسك سيأتي بالمشاحة، والمشاحة تسبب انشغال القلب والعقل والدخول في معارك.

المهم أن مشكلة حب العيش وكراهية الموت مشكلة عامة، وترى آثارها في البيوت وفي الأعمال وفي التنافس على الدنيا، وكما اتفقنا هذا صاحبها متأسٍّ باليهود مقتدٍ بالمنافقين؛ لأن المنافقين كما ذكر الله–سبحانه وتعالى–في سورة التوبة: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ}[1]، المخلفون بعد النبي–صلى الله عليه وسلم–بأي شيء فرحوا؟ {بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} يقول بعضهم لبعض: {لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} لماذا؟ حبًا للدنيا وكأنهم سيخلدون في الدنيا.

فالمقصود أن أهل الدنيا المفتونين بحبها يسبب لهم حبُّ الدنيا نسيانَ الآخرة نسيانًا تامًا.

(1) [سورة التوبة: 81]

وهذا المفتون بحب الدنيا خالف هدي النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ لأن من ديدنه-صلى الله عليه وسلم-الزهد في الدنيا والتزهيد فيها، فإذا أردت أن تنتصر على هذه الفتنة فعليك بالتأسي بالنبي-صلى الله عليه وسلم-.

أيضًا من الفتن العامة:

3. فتنة الهوى.

وهي السبب الرئيس للضلال عن الهدى، وهذه الفتنة من أصيب بها خُتم على سمعه وقلبه وجُعلت الغشاوة على بصره.

{أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} وماذا فعل الله به؟ {وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} وأيضًا {وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً}[1]

الآن هذه الثلاث فتن مرتبطة ببعض:

الشيطان ينفخ فيك **حب الدنيا**؛ فيجعلك **صاحب هوى** لا تسمع ولا ترى.

وانظر إلى ذاك الذي جاءه العلم، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا}[2] ومع ذلك ما الذي منعه من الانتفاع به؟ {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} بهذه الآيات {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} فانظروا إلى الفتنتين معًا:

{أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} هذا حب الدنيا.

{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}: معناه بعد ابتلائه بحب الدنيا عمِي بصره وأُغلق على سمعه وقلبه.

وهو معه علم! قال تعالى في أول الآية: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ}، مع وجود العلم لكن عندما يبتلى الإنسان بالفتنة هذا العلم يذهب، وليس أي ذهاب، "ينسلخ" بهذا المعنى، فلا تستعجب أن يكون معك أو مع غيرك علم ثم ترى منه انسلاخًا، لا تستعجب؛ لذلك يكرر عليك دائمًا: لا تنظر للدين من نافذة الرجال، بل قِس الرجال بالدين.

وهذا طبعًا لا يلزمه أن يحرك في قلبك مسألة الحكم على الناس؛ لأن كل حاكم تجرأ على الحكم على غيره مصيره أن يكون محكومًا عليه أيضًا.

أيضا من الفتن العامة:

4. فتنة الدنيا والمال.

وإذا أشرنا إلى الدنيا قصدنا بها ما فيها من مُتع، وعلى رأسها المال.

---

(1) [سورة الجاثية: 23]

(2) [سورة الأعراف: 175]

هناك فوارق دقيقة بين حب العيش وكراهية الموت وحب الدنيا، في حب الدنيا يصير الإنسان طمعان بأشياء معينة هي طموحه-كما يُعبِّرون-وآماله، وعلى رأس الأشياء التي في الدنيا: المال.

الدنيا كُرِّر عليك في كتاب الله أنها غرّارة تغرُّك، ولاحظ أنك نُهيت عن مد بصرك لها، بل النبي-صلى الله عليه وسلم-هو الذي نُهي، حذَّر الله تبارك وتعالى نبيه-عليه الصلاة والسلام-من مد عينيه للدنيا، مع وصف النبي-صلى الله عليه وسلم-لهذه الدنيا والتزهيد فيها ومع ذلك يُخاطَب النبي-صلى الله عليه وسلم-بقوله تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[1]، النبي-صلى الله عليه وسلم-مع ما معه من إيمان يقال له: مع إيمانك احذر من الدنيا لا تمدن عينيك، تصوّر أن هذا الفعل ممنوع.

قارني الآن بين الإيمان الذي نعلم أنه في قلب النبي-صلى الله عليه وسلم-مثل الجبال الراسخات بل أعظم منها، والفعل الذي هو بسيط جدًا وهو مد البصر، وليس التمني وليس التفكير وليس التقليب، بل مجرد مد البصر! هذه قوة الإيمان مع صغر العمل ومع ذلك نُهي عنه النبي-صلى الله عليه وسلم-.

عن أنفسنا ماذا سنقول؟! يجتمع في حقنا أمران:

- **ضعف الإيمان** الذي نسأل الله أن يقويه ويجعله مثل الجبال الراسخات، لكن الحقيقة ضعف.
- **والمُتَع الكثيرة** التي نرى أنفسنا ليس فقط نمد أعيننا إليها بل نقلب أبصارنا فيها ونحن لا حاجة لنا بها، بل نطلق التفكير تمنيًّا وتشهيًّا لها، بل ونستمتع بالكلام عنها، كل هذا يدلُّك على أن الدنيا متجذرة في قلوبنا، فتنة عظيمة مفتونون بها.

وأنا أقول هذا الكلام بمناسبة أننا عندما تأتي فتنة الخروج لا نعرف ما سببها، ما أبعادها. هذه الفتنة الأخيرة ما هي إلا عبارة عن حصيلة من أنواع الفتن، فُتن بها الناس وكانت النتيجة الأخيرة هي هذه أن تجد خارجين.

فالمقصد أن تبدأ تعالج نفسك من الفتن العامة، ستجد أنه من اليسير عليك أن تنجح وقت الفتنة الخاصة.

الفتن العامة: هي التي يشترك فيها كل الناس في كل زمان ومكان.

الفتن الخاصة: التي تخص زمنًا معيَّنًا، مكانًا معيَّنًا، أنواعًا من الناس.

نحتاج في زمن الفتنة إلى تأصيل ورؤية شرعية للفتنة، من الرؤية الشريعة أن تفهم أنك مفتون بحب الدنيا وحب المال، أنت مفتون ولا تبرئ نفسك من ذلك، كلنا نشترك في هذه المصيبة **حب الدنيا**.

-حب الدنيا مبني على الهوى.

-الهوى يشترك مع حب الحياة وكراهية الموت.

-من الذي ينفخ فيه؟ الشيطان.

-كيف سترى حب الدنيا في قلبك؟ بحبك للمال.

(1) [سورة طه: 131]

ولهذا لما وصف الله-عزَّ وجلَّ-في سورة العاديات الإنسان الضعيف المنهك بالدنيا وصفه في حب الدنيا أنه شديد، قال:

{وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}، الخير: المقصود به المال.

ولا تفهم من الكلام أن اكتسابك للمال بالطرق الشرعية ممنوع، الكلام حول الحرص، شدة الحرص على المال، ومن المؤكد أن هناك فرقًا، اكتسابك للمال معناه: أن العبد يسعى في الحياة لتوفير الحياة الكريمة، وليس للدخول في المنافسة مع الناس، أريد أن أوفر لنفسي الحياة الكريمة لأجد ما أتدفأ به وقت البرد وما آكله وقت الجوع، ولا أطلب من الناس، ولأستطيع أن أقي نفسي وقت الحر، ولأجد ما أجلس عليه، وعندما يكون عندي ضيوف أستطيع أن أستقبلهم، لكن ليس من أجل أن أفاخر الناس وأُكاثرهم وأقارن نفسي بهم إلى آخر ما تتصور من انطلاقات في مثل هذا الباب.

ولهذا لو تريد أن ترى حياة النبي-صلى الله عليه وسلم-سترى عجبًا، يمر على الصحابي وهو يبني له خُصًّا، -الخص: مثل العشَّة-، وكان يرتب فيها الصحابي، فيمر عليه النبي-صلى الله عليه وسلم-والصحابي مجتهد في ترتيب خصِّه، فيقول له النبي-صلى الله عليه وسلم-: "**الأمر أعجل من ذلك**"[1]، معناه أن الحياة أسرع من أن ترتب جدرانًا، ستأخذك سريعًا، فتحمَّل في أوقات الحياة وأنفاسها ما ينفعك حين تخلو في التراب.

لا بد أن تفهم ما هي الفتنة، الفتنة أنك أعطيت في الدنيا الفرصة، إما أن تبني حالك وقتما تنتقل للتراب وحدك، وإما تبقى تحمل في الجدران والأشياء التي ستتركها -ولا بد-وراءك، إما أن توسع على نفسك بالدنيا توسيعًا يضر بك في قبرك، وإما أن تستخدم ما وُسِّع عليك في أن توسع على المسلمين، توسع على إخوانك...إلى آخر التفاصيل التي هي سبب في النهاية إلى توسيع قبرك، المهم أن تفهم أن هذا المال تكتسبه من أجل أن تسبب لنفسك حياة كريمة تستطيع بها أن تعبد الله، فرص الحياة موجودة، وهي بنفسها اختبار.

الآن وظائفنا وما ابتلينا به من مصادر أموال هي بنفسها اختبار لك: هل ستكون أمينًا ومحافظًا على ما أُمِّنت عليه؟ أم سيكون طمعك في المال الذي يترتب على الوظيفة ولا تفكر في أداء حقوق الخلق؟

على كل حال، الدنيا والمال من الفتن التي تعم، يتداخل فيها كل الناس.

ما هو الضير والممنوع والذي هو حقًا فتنة؟ أن تُفتن بهذا المال بحيث يكون تحاكمك وولاؤك وبراؤك وحبك وبغضك ورضاك عن الله سببه المال، وهذا معنى " **تَعِسَ عبدُ الدينارِ، وعبدُ الدرهمِ، وعبدُ الخميصةِ**"[2].

الآن الناس يقدِّرون بعضهم بعضًا بالساعة التي يلبسونها، تحترم نفسها عندما تحمل حقيبة من ماركة كذا! تقدِّر الشخص الذي أمامها عندما تراه يلبس كذا وكذا! تقبل التعامل مع شخص عندما تعرف أنه ساكن في حي كذا وكذا! تقبل به زوجًا لابنتها لو كان يملك كذا وكذا، فهذه هي الفتنة، أصبحت عبدًا للمال.

(1) رواه أبوداود (5236) والترمذي (2335) وابن ماجه (3373)، وصححه الألباني-رحمهم الله جميعًا-.

(2) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، 2887)

ومعلوم أن هذا المال يتحول فيصبح عذابًا في الدنيا والآخرة، والله-عزَّ وجلَّ-يقول: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ}، يجب عليك أن لا تعجب بها، ولا حتى أولادهم، {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا} بهذه الأموال {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}[1].

المقصد: المطلوب منك عندما تنظر شرقًا وغربًا في القريب والبعيد أن لا تعجبك الأموال، وهذه الآية بالذات في سورة التوبة وصف للمنافقين والكفار، عندهم أموال وأولاد وحضارة، ممنوع عليك الإعجاب بها.

فكم مفتون ساقط اليوم، معجب بأموال وأولاد أهل الكفر، كم تسمعهم اليوم يثنون على أخلاقهم وما عندهم من أموال ويقارنون بها. كيف بك وأنت تعرف الله وموحِّد أن تقارن نفسك بمن يُثلِّث أو هو عابد لصنم؟ كيف؟! ألست تعرف العز الحقيقي؟ لكن هذه والله من الفتن التي ابتلينا بها.

وسببها سلسلة: **الشيطان** الذي نفخ فيك **حب الدنيا وكراهية الموت** فأصبحت **صاحب هوى** ففتنت **بالدنيا والمال**، هذه سلسلة يعيشها الناس.

ولا تتعجَّب من مهزومين نفسيًّا لا يرون فضل الله عليهم بالتوحيد، لا يرون أن الله-عزَّ وجلَّ-أنعم عليهم بنعمة عظيمة وهي نعمة ألا يكونوا عبيدًا إلا للملك العظيم. والله إن كل شيء في الكون يشهد بوحدانيته، كل شيء في تدبير الحياة يشهد أن واحدًا وراء هذا، كل شيء في أبداننا يشهد أن هناك مَلِكًا عظيمًا حيًّا قيومًا لا تأخذه سِنة ولا نوم.

فعندما تعرف هذه الحقيقة العظيمة، كيف بهذا الشرف الذي وُفقت له؟ ماذا تعرف من عزٍّ يجب أن يكون في قلبك؟ أين الاعتزاز بأنك من أهل التوحيد، إلّا أن فتنة عمَّت فصَمُّوا الناس وأصيبوا بالعمى، فرأوا النعم نقمًا، ورأوا الفتنة نصرًا.

فنسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويسلِّمنا من الأهواء ومن أهلها، اللهم آمين.

أيضا من الفتن العظيمة التي هي فتن عامة:

5. الزوجة والأولاد

وبالنسبة لنا سيكون العكس طبعًا الزوج والأولاد، فالزوجة بالنسبة للزوج فتنة، والزوج بالنسبة للزوجة فتنة، والأولاد.

وأما هذا فحدث ولاحرج، نبدأ بأدناها وهو الافتتان عن الدين بسبب هؤلاء، ويكون ذلك بمطاوعتهم فيما يخالف أمر الله، فحتى لا أجرح شعوره أقوم بفعل فيه فسق، وهو حتى لا يجرح شعور زوجته يقوم بأمر فيه فسق، وهكذا بالنسبة للأبناء، هذه أدنى فتنة أن أقوم بالعمل الباطل من أجله.

ثم تتدرج هذه الفتنة إلى أن يصل الإنسان إلى فتنة التعلق، وهي من أعظم الفتن التي نعيشها اليوم، بحيث يكون هذا الزوج بالنسبة للزوجة عبارة عن إله، له كل المحبة والتعظيم، وبه تُعلَّق كل الآمال، لا نقول إن هذا أمر عام وموجود ومتكرر، لنقل إنها حالات نادرة، لكنها

(1) [سورة التوبة: 55]

موجودة، المهم أن تفهم ما هي الفتنة، تبتدئ من عند المجاملات من أجل العواطف والمشاعر والمحبة، وتنتهي وتصل إلى التعلُّق بأن تقول هذه المرأة: هذا الرجل لو حصل له شيئًا أكون انتهيت.

ولا نريد أن نشهر باطلا لكن فقط نشير إلى حوادث مسجلة في الشرطة والمستشفيات، منها: امرأة تعرّضت للانتحار بأخذ أحد أنواع الدواء لأنها سمعت خبرًا أن زوجها سيتزوج! هل هذا من حبه؟ أو من بغضه؟ أم كراهية الحياة؟ أم هذا نوع من أنواع الضغط عليه؟ أيًّا كان، تصوري أن كل النصوص التي تتكلم عن حرمة الانتحار ذهبت مع الريح! سكرات الموت وما يكون فيها، والقبر وما يكون فيه، ولقاء الله، كل هذا ذهب ولا يساوي شيئًا في تفكيرها طبعًا، وقررت أن تنهي حياتها.

الحمد لله الحالة التي أتكلم عنها ما ماتت، لكن لو ماتت ستموت على ماذا؟ وماذا ستقول لربها؟

على كل حال، هذا وجه من الفتنة بالزوج، لكن هناك وجه آخر غاية في الخطورة وهو: حال ما يقصر الزوج في الواجبات، وتأتي الخيانات، وهذه مصيبة عظيمة، يؤسفنا أن نتكلم عنها، لكنها والله أتت على البلاد والعباد بالخراب، يعني يكون الزوج لا يقوم بواجباته، وتكون المرأة في حال حاجة، فتقع في الخيانة، وعندما تقع في هذه الأنواع من البلاءات تجمع طبعًا بين ضعف في التقوى–وهذه مصيبة– وحب الدنيا، أمران متداخلان، حب الدنيا وحب الشهوة سيطرا عليها، ومن الجهة الأخرى لا توجد تقوى، وتصبح مصيبة أكبر لو وجدت لنفسها عذرًا، فتخون وتعتذر لنفسها بأنها معذورة بأن هذا الزوج لا يقوم بحقوقها.

المقصد: أن فتنة الزوج فتنة لها وجهان:

- وجه التعلق به الشديد.
- ووجه آخر بعكس ذلك.

فيكون الزوج في الحالتين أحد أعظم الفتن في طريق للمرأة.

ويأتي مثله الأولاد:

- إما من جهة التعلق بهم ومجاملتهم وحب إرضائهم على حساب الدين، وهذا طبعًا سيؤدي في المقابل إلى إهمالهم من جهة التربية وإقامة شعائر الدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. ومنه: وضع الآمال بهم.
- أو من جهة أخرى تعذيبهم، العنف في التعامل معهم، التسلُّط عليهم، تحطيمهم، أيضا هذه فتنة من جهة أخرى.

فأنتِ مفتونة بهؤلاء بالزوج والأولاد، فلا تشرّقي ولا تغرّبي، واطلبي منه–سبحانه وتعالى–أن يهديك معهم سواء الصراط.

يلحق الكلام عن الزوجة والأبناء الفتنة العظيمة التي تحتاج منا الحقيقة إلى لقاء خاص، وأنا أرجو من الله أن ييسر لي هذا اللقاء، وأن يجعله مباركًا ينفع به، و يكون إعذارًا لي ولكم عنده–سبحانه وتعالى–، هذه الفتنة التي عمَّت و طمَّت بلاد المسلمين، وهي **فتنة النساء الأجنبيات**، نظر الرجال للنساء، والحقيقة أن هذه الفتنة تساهل بها حتى أهل الخير، حتى الصالحون، ويؤسفني أن أقول: حتى بعض طلبة

العلم، وأصبحوا يناقشون مسألة الاختلاط بالنساء الأجنبيات بشيء فيه كثير من التساهل، وكل يوم يأتي مفتون فيتكلم عن قضية مثل قضية الاختلاط ويقول لك: هذا فقط سدًّا للذريعة.

وهذا الكلام من جهة التأصيل العلمي كلام باطل، فالأشياء المحرّمة في الشريعة نوعان:

- **محرّمة لذاتها.**
- **محرّمة لغيرها.**
- وعندي **وسائل الوصول إلى المحرّم.**

فالمحرّم لذاته ليس هو نفسه المحرّم لغيره، والمحرّم لغيره ليس مثل الوسائل والذرائع، "الذريعة" هذه أمر آخر.

مثلًا: خروج المرأة من البيت سبب للعدوان عليها، هذه "الذريعة"، لأن العدوان ليس محقّقًا دائمًا، لكن في حالة معينة سنقول إن خروجك سبب للعدوان، إذًا هنا ذريعة فلا تخرجي، هذه الذريعة.

لكن الاختلاط أن تكوني في مكان فيه رجال هذا محرّم لغيره؛ لأنني عندما أقول للرجل: غضَّ بصرك، ومعه في المكتب امرأة، فهذا يعني أحد أمرين: إما أن يعصب هذا على عينيه عصابة ويبقى طيلة الوقت عاصبًا عينيه لأنه من المطلوب أن يغض بصره، أو أنه لن يتمكن من غضِّ بصره، فوجود المرأة معه في المكتب محرّم لتحقيق الأمر بغض البصر، وليس سدًّا لذريعة.

حين تأمرك الشريعة بغض البصر وأنا أطلقهم في الشوارع والمكاتب وفي كل مكان، ويكون هذا اختلاطًا منظّمًا-لا يأتي يكلمني عن الحرم والطواف أو عن البيع والشراء في المتاجر-أنا الآن أوظف موظفة طوال الوقت تداوم مثلها مثله، يعني الرجل والمرأة كلهم يوقِّعون في نفس الوقت، ويتحاشرون على دفتر التوقيع، أو على ماكينة الدوام، ثم المطلوب أن يجلسوا في مكتب واحد، وأنت يا رجل غض بصرك، وأنت يا امرأة تمشّي أمامه ذاهبة وعائدة، هنا تحقيق أمر غض البصر يصبح شيئًا من الخيال، لا يمكن، والتفكير بهذه الصورة نوع من الغباء.

عندما نقول: أُمِرنا في الشريعة بصلاة الجماعة، وجود الإمام أليس من الواجب؟ واجب لإقامة الصلاة، إذًا لا يمكن أن أقيم الصلاة إلا بإمام، فأصبح وجود الإمام واجبًا لإقامة الصلاة، ومثله أصبح منع الاختلاط واجبًا لغض البصر.

المقصد: أن هناك مفتونين يحيطون بالعالم الإسلامي، نريد أن نجري مع الغرب ومع الشرق، ونريد أحدًا يعطينا فتوى على جرينا مع الغرب والشرق.

ثم عندما يقول لك أحد: هذه الفتوى التي تفتونها بحرمة الاختلاط تخص مجتمعكم السعودي، وتمنعون كثيرات من الجياع والفقراء من العمل، ويطالبوننا بالبدائل، نقول:

أولًا: من يفتيكم في الدين لا يُطلب منه تقديم البدائل، تقديم البدائل هذا نوع من التبرع.

هل لا يوجد حل إلا أنهن يختلطن ليرزقن !! هذا والله كذب صريح، كما يمكن أن تُنشأ مشاغل نسائية خاصة، وأماكن تجميل للمرأة خاصة، وهي منتشرة في المملكة، في الخارج أماكن التجميل مختلطة، بكل سهولة نكتب على مكان التجميل "خاص بالنساء"، ولا يدخله الرجال فهذه فرصة عمل للنساء.

ألا يصلح أن نجعل مستشفى خاصًّا للنساء والولادة؟ ما الذي أدخل فيها الرجل؟ الرجل يبقى خارجًا، أحضر من النساء الكافرات من يُعَلِّمن النساء المسلمات ويدرّبنهن، طب الأسنان ألا يصلح أن ننشئ مستشفًى خاصًّا للنساء؟ نحن نتكلم عن أشياء واقعية وأماكن واقعية لكن لا أحد يريد دعمها، أهل المملكة يعرفون أن هناك مستشفيات وعيادات ومستوصفات خاصة بالنساء في المدن الكبيرة، من مدينة جدة إلى الرياض يوجد فيها.

ولو أردنا أن نتكلم عن البدائل لن ينتهي الأمر، هناك بدائل لا نهائية، يمارس في كثير من مدارس البنات البيع والشراء الداخلي لكثير من النساء يطبخن في بيوتهن، توزع أرقامهن وعندما تكون عندك مناسبة تتصلين عليها وترسل لك سائقها وهي في بيتها، هذا موجود.

اليوم العالم يطالب بالعمل من وراء الإنترنت، أذكر دراسة أجنبية في عام 1985 وترجمت بالعربية عن عمل المرأة من البيت، وهذه دراسة أجنبية ليست عربية، إذا كانوا من 1985 يدرسون كيف يسيسون عمل المراة من البيت، ونحن ندرس كيف نخرج المرأة من بيتها ونخلطها بالرجال، مصيبة عظيمة! المفترض أن نقضي ليالي بكاء على هذه المصيبة.

لا تضيق أفقك، مثلًا تريد أن تفتح بابًا للعمل للنساء، وفِّر لهم مصنعًا للخياطة والحياكة، في تجربة في المملكة هناك مصانع لتعليب التمور، وما فيها إلا نساء من إدارتها إلى آخر من ينظفها. وبكل سهولة ويسر.

نسأله–سبحانه وتعالى–أن يكشف الغمة عن الأمة، وأن يجعل فيها ناسًا صالحين وتجارًا يريدون حقًّا المحافظة على أعراض المسلمين.

لا تقل: لا يوجد بدائل، لا تقل إن ما تفترضونه هو في مجتمعكم الخاص، هذا كلامٌ باطل، والله إنَّ هؤلاء مفتونون، قصدوا أو لم يقصدوا نحن ليس لنا علاقة بالنيات، لكن من يُشَرّع مسألة الاختلاط قد افترى على المسلمين، قد أنهك أعراضهم، وإنهاكها يساوي الانتهاك، ماذا يريدون؟ أن تصل المرأة إلى أن تصبح راقصة؟! والله لا يريدون من إخراجها إلا إهانتها.

نحن عن طريق وسائل التقنية هذه نصل إلى نهاية العالم، قدر الله قبل أسبوعين أن تكلمني امرأة فاضلة من فرنسا، أخت أسأل الله أن يثبتها ويشرح صدرها ويساعدها على نشر الإسلام، كلمتني عن مغنية مشهورة فرنسية دخلت في الإسلام واتبعت منهج السنَّة، وتمسكت بمنهج السلف، واستطعنا بجهاز هاتف بسيط أن نتواصل، من مكاني إلى مكانها إلى هذه الأخت، أسأل الله أن يثبتها ويشرح صدرها ويزيدها إيمانًا وتقوى ويجعلها سببًا من أسباب نشر الإسلام في فرنسا.

ها نحن نستطيع أن نتواصل مع نهاية العالم بما يسره الله لنا من وسائل، الآن كثير ممن يعملن في بيوتهن، وهذه التجربة نحن نقوم بها شخصيًّا، هناك نساء في بيوتهن يتحملن مسؤولية كثير من المواقع وتصل لهن رواتب إلى حساباتهن، وهن في بيوتهن، ها هي التقنية تفتح باب التعليم عن بعد، تفتح باب العمل عن بعد، وتفتح باب المتاجرة عن بعد.

ماذا تريدون؟! الناس يتقدمون ونحن نتأخر؟! إن كنتم تريدون أن تقلدوا قلدوا هذه الزاوية، أم هو مجرد هوى وفتنة؟!

على كل حال لابد من العناية، كل من تحت يده بنات وشابات، كل من له علاقة بذلك، لابد من الوعظ، عظوهن وكونوا صادقين في ذلك، والله ليأتي الله-عزَّ وجلَّ-بالخير الكثير لو كان هناك إنكار للمنكر، لكن ليس من المنطقي أن نسكت تجاه هذه الفتنة، انهارت الدول بسبب النساء وما يدخل عليها من أمراض، وإذا كثر الزنى لا تسأل عن الآفات التي يمكن أن تصيب المجتمع، المقصد أن جائحة عظيمة ستجتاح بلاد المسلمين إذا بقي الحال كما هو لا أحد ينكر.

والمصيبة الآن ليس فقط في وجود الاختلاط، الاختلاط وجد من زمان في كثير من بلاد المسلمين، المصيبة الآن أسلمة الاختلاط! يقولون: الإسلام لا يمنع من الاختلاط، وأن هذا فقه حنبلي أو فقه يخص هذه البلاد! والله سنلتقي عند الله ويتحمل من قال هذا الكلام وزره.

إن الأدلة الصريحة التي تدل على منع أسباب الزنى كلها من أولها إلى آخرها لتمنع كل واحد عنده شيء من الدين والكرامة أن يسمح للمرأة أن تهان، وأن يُتعدى عليها بالنظر والكلام والتحرشات التي يُسجَّل تاريخها في محاضر الشرطة، وتسمعها في قصص خاصة، من سيتحمل هذا كله؟

على كل حال، من كان له قلب وله سمع وبصر فليقلب سمعه وبصره وقلبه معه في تاريخ أهل الغرب والجرائم المتكررة من الزنى، واكتب فقط في محرك من محركات البحث "أصغر طفلة حامل"، وستجدها طفلة في مدرسة ابتدائية في بريطانيا، قد وقع عليها زميلها الذي يكبرها بسنتين أو ثلاثة.

ماذا تريدون؟! اقرأ الواقع واترك التاريخ، ألا ترى وتسمع؟! ألست تريد أن تنتفع من التجربة الغربية؟! غبي الذي يبتدئ من حيث ابتدأ الآخرون، ابتدئ يا أخي من حيث انتهى الآخرون لو تريد الحضارة!

نحن نشتكي إلى الله، لكن لا بد من إنكار المنكر، لا بد لمن كان عنده مال أو معه أنواع من قدرة على خدمة المجتمع أن يفتح بابًا واسعًا لاختصاص النساء بأعمال.

أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يهيئ للمسلمين تجارًا ورؤوس أموال تخص النساء بأعمال، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يهيئ للمسلمين إنفاقًا في سبيله لرفع كرامة النساء وحفظهنّ، أسأل الله أن يشرح صدور التُّجار الذين فتحوا مراكز خاصة للنساء، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يلقي في قلوب النساء الحياء، فتستحي أن تفعل مثل هذه الأفعال، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يسخر لنا من النساء من تقنع النساء بعدم الخروج للاختلاط، وتقنعهن ببدائل، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يسخر رجالًا حُكماء يحافظون على نسائهم، ويحفظون أعراضهم، اللهم آمين.

على كل حال النبي-صلى الله عليه وسلم-أخبرنا عن هذه الفتنة العظيمة وقال: **"ما تَركتُ بَعدي فِتنَةً أضرَّ على الرجالِ منَ النساءِ".**[1]

(1) رواه البخاري (5096)، ومسلم (2740).

وقال في حديث أبو سعيد الخدري-رضي الله عنه-: **"إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإن اللهَ مستخلفُكم فيها، فينظرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساءَ".**[1]

أيضًا نريد أن ننبه على قضية مهمة هنا تجعلنا نتقي فتنة النساء الأجنبيات وهي مسألة وسائل الإعلام والتساهل فيها، وقد وجدنا في الفترة الماضية أن كثيرًا من الصُّلَّاح تهاونوا بالنظر إلى النساء في وسائل الإعلام، جريًا وراء الأخبار، وهذا من حيل الشيطان أن يجرَّ هذا الصالح بخطواته إلى الهلاك.

فلا زلنا نُذَكِّر أنفسنا بمسؤوليتنا في إنكار مثل هذا، فإذا مررتِ على أخ أو زوج، أو على ذي محرم لك ينظر إلى النساء وفيه صلاح فذكِّريه بالله، وخوِّفيه، حتى لو ثار عليك في أول الأمر، لكن كوني صادقة ينفعه الله-عزَّ وجلَّ-بما تقولين، وإذا ما استطعت المواجهة عليك بالرسائل، وعليك بالكتابات، وإذا حيل بينك وبين هذا الإنكار، استعملي الإنكار القلبي، ولا يتحول الأمر عند الصالحات إلى أمر بارد لا ينكر.

لا تغضب المرأة عندما ينظر الرجل إلى امرأة إلا عندما يقول لها: انظري إلى قصة شعرها انظري إلى مكياجها، وقتها تغار! ولا تغار على حق الله، بل تغار على حقها هي: كيف تقارنني بهذه؟ وكيف عينك تذهب إلى هذه؟ فلا يكن حق الله-عزَّ وجلَّ-في نفوسنا بمثل هذه الحال.

على كل حال نحتاج مراجعة أنفسنا في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كثير من المنكرات تحولت عندنا إلى أشياء معتادة، ولو تعلمون أن هذا من أعظم أسباب الفتن التي تعم الناس، الفتن الخاصة التي تعم الأزمنة، أن يتحول أهلها إلى ميّتين في أحاسيسهم تجاه المسائل العظيمة.

نكون بهذا انتهينا من الكلام عن الفتن العامة التي يشترك الناس كلهم فيها، نتحول الآن للكلام عن الفتنة الخاصة.

- القسم الثاني: الفتن الخاصة.

هي التي يكون وقت حدوثها مخصوص. وصُفت بالخصوص، أي في زمان معين، أو أحيانًا في أماكن معينة، وغالب ما أتانا من أخبار فهو في آخر الزمان.

- ما الحكمة من إخبار الله تعالى لنا بحدوث الفتن الخاصة (مثل فتنة الدجال، مثل فتنة يأجوج ومأجوج ...إلى آخر هذه الفتن الخاصة)؟

سنذكر في ذلك أمرين:

1- تهيئة أذهان ونفوس المسلمين للخطر.

عندما يقال لك: **"ستكونُ فتنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي"**[2]، فماذا يكون في ذهنك؟ تتهيأ للفتنة بحيث لا تكون عليك صدمة.

(1) رواه مسلم في صحيحه(كتاب الرقاق،باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، 2742)

(2) رواه البخاري (7081)، ومسلم (2886).

وأيضًا عندما تسمع أن الأمة سيكون فيها رجال ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب[1]، ثم هؤلاء يعتلون المنابر، سواء المنابر الإعلامية أو منابر المساجد، ويتكلمون، وبدلًا من أن تكون الخطبة "قال الله وقال الرسول" تجد الخطبة سياسية مثلًا، وتجد في سيرة هذا الشخص الحقائق مقلبة، فلا تصدم، تتهيأ تعرف أن هناك فتنة وصفها هؤلاء الرجال.

وهذا لا يسمح لك طبعًا أن تقول: هذا الذي وصف النبي-صلى الله عليه وسلم-بعينه، نحن لا نتكلم عن الأعيان، لكن لا يمنع أن نقول إننا أُخبرنا أن في آخر الزمان سيكون كذا وكذا.

المقصد أننا أُخبرنا من أجل أن تتهيأ أذهاننا، وإذا تهيأت تخفُّ علينا الصدمة، يهون علينا الخطب.

2- أخبرنا بالفتن من أجل أن يُبين لنا السلاح الشرعي الذي تواجه به الفتنة.

بماذا ستواجه الفتنة؟ فتنة مثل فتنة الخروج كيف ستواجهها؟ نصوص كثيرة تكلمك بأن تحمل ذكرك، حتى ورد في حديث أبي ذر-رضي الله عنه-لو كان عندك سيف فتوجه إلى صفاة-أي صخرة-فاكسره[2]، لهذه الدرجة، يعني تخلص من كل وسيلة تدخلك في الفتنة للمقاتلة.

عندما أخبرنا عن الفتنة لتتهيأ نفوسنا ولا نقول: ما كنا نتصور أن المسلمين يحصل لهم هذا الأمر؟!، لا، أُخبرت في النصوص، لا تغفل عن ذلك، والأمر الثاني: في النصوص قيل لك ماذا تفعل.

لا تنسَ أن متابعة سنة النبي-صلى الله عليه وسلم-في الرخاء تسبب لك التسديد في أن تتابعها في الشدة؛ لأن كثيرًا ممن خرج علينا قال لك: هذا ليس خروجًا، مثلًا، طيب فسر لي حديث النبي-صلى الله عليه وسلم-الذي بدأ به في كتاب الفتن في صحيح البخاري، بعد الباب الأول الذي فيه {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} ذكر هذا الحديث: **"من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة الجاهلية"**[3].

أنا أريد منك أن تشرح لي ما معنى قوله: "شبرًا"؟ واجعل الحكم كلام من سلف، يعني افتح شرح صحيح البخاري وقل لي ما معنى "شبرًا"؟ عند العرب (شبرًا): كناية عن أقل خروج، ماذا يقصد به الخارج؟ يريد أن يحل عقدة الإمام. معناها: أن أقل فعل تفعله وأقل سعي

---

(1) "يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ رجالٌ يختِلونَ الدُّنيا بالدِّينِ ، يلبسونَ للنَّاسِ جلودَ الضَّأنِ منَ اللِّينِ، ألسنَتُهُم أحلى منَ العسلِ، وقلوبُهُم قلوبُ الذِّئابِ، يقولُ اللَّهُ: أبي يغترُّونَ، أم عليَّ يجترِئونَ ؟! فبي حلفتُ لأبعثنَّ علَى أولئِكَ منهم فِتنةً تدَعُ الحليمَ مِنهُم حيرانَ". ضعفه الألباني في "ضعيف الجامع" (6419).

(2) روى مسلم في صحيحه (2887) عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّها ستكونُ فتنٌ. ألا ثمَّ تكونُ فتنةٌ القاعدُ فيها خيرٌ مِنَ الماشي فيها. والماشي فيها خيرٌ مِنَ الساعي إليها. ألا، فإذا نزلتْ أوْ وقعتْ، فمَنْ كان لهُ إبلٌ فليلحقْ بإبلِهِ. ومَنْ كانتْ لهُ غنمٌ فليلحقْ بغنمِهِ. ومَنْ كانتْ لهُ أرضٌ فليلحقْ بأرضِهِ. قال فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ مَنْ لمْ يكنْ لهُ إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟ قال: يَعمدُ إلى سيفِهِ فيدُقُّ على حدِّهِ بحجرٍ. ثم لينجُ إنْ استطاعَ النجاءَ. اللهمَّ! هلْ بلغْتُ؟ اللهمَّ! هلْ بلغْتُ؟ اللهمَّ! هلْ بلغتُ؟ قال فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ إنْ أُكرهتُ حتى ينطلقَ بي إلى أحدِ الصفينِ، أو إحدَى الفئتينِ، فضربَني رجلٌ بسيفِه، أوْ يجيءُ سهمٌ فيقتلُني؟ قال: يبوءُ بإثمِهِ وإثمِكَ. ويكونُ مِنْ أصحابِ النارِ".

(3) رواه البخاري (7053)، ومسلم (4897).

تسعاه من أجل حل بيعة الإمام ستكون خرجت، تسعى في حل عقدة الإمام القائم المستقر ولو بمقدار شبر اسمك خارج، ولو مت على هذه الحال **"فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة الجاهلية"**.

ولذلك قال العلماء: من أعان على القتل ولو بشق كلمة كان له نصيب من هذه القتلة.

لو أعان بشق كلمة وليس كلمة كاملة.

ثم النصوص صريحة، يقال لك:

"إنكم سترون بعدي أثرة" أي: في أمور الدنيا، **"وأمورًا تنكرونها"**، ماذا نفعل يا رسول الله؟

"أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم"[1] أي: لا تُضربوا عن العمل، لا تمتنعوا عن القيام بما يجب عليكم، وحقنا يا رسول الله؟ اسألوا مالك الملك.

أتظن أن الذي تولى السلطان ملكًا يقسم الأرزاق؟ هذا عبد استخلفه الله ليرى ماذا يعمل وماذا تعملون معه، النصوص صريحة تقول لك ماذا يجب أن تفعل، نصوص الفتنة لم تأتِ بالتأويلات، كلها أتت صريحة، نقول لهم: اصبروا، يقولون: صبرنا، نقول: النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: **"اصبروا حتى تلقوني على الحوض"**[(2)]، معناه ليس سنة ولا اثنين ولا عشرة ولا عشرين ولا ثلاثين، اصبروا حتى تلقوا النبي-صلى الله عليه وسلم-على الحوض، كل هذا اسمه متابعة للسنة.

يقولون لك: أنت سلبي، وهذه اسمها سلبية!، أنا قرأت بنفسي في أحداث 1423 في أحد المدونات الخاصة-انظري كيف تكشف الفتنة النفوس-يقول: إذا كان الدين يأمرني أن أبقى تحت طاعة هذا السلطان ذليلًا مهانًا-والعياذ بالله مما قال-أنا لا أريده دينًا! انظري كيف تكشف الفتنة عن خراب بالداخل، أخبرتك الشريعة عن الفتن وكيفية التعامل معها، وكانت اختبارًا عظيمًا.

وهذا يعيدك مرةً أخرى أن تبحث أصلا في كلمة (فتنة) ما معناها؟ أتت في كتاب الله بمعانٍ كثيرة، لكنها كلها تدور حول معنى واحد: اختبار يكشفك، فلما تأتي الفتنة تُكشف من أنت؟ ما إيمانك؟ ما درجة يقينك بوعود الله-عزَّ وجل-؟ ما درجة ثقتك بالسنة؟

مقصدنا من هذا النقاش كله أن تفهم أن الشريعة أخبرتك بهذا كله من أجل يهون عليك الخطب ومن أجل أن تستعد، وإذا لم تستعد ابتليت بالتذبذب أو بالانحراف عن الطريق المستقيم.

ما مصدر الفتن؟

مادام أن حدوث الفتن أمر حتمي لا مفرَّ منه؛ لأن الله-عزَّ وجلَّ-قدَّره على خلقه، يبتليهم بذلك لتظهر منهم حقائقهم، يأتينا سؤال: **ما مصدر الفتن التي ستقع علينا؟ هل مصدرها خارجي من غير الأمة أو مصدرها من الأمة؟**

(1) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سترون بعدي أمورا تنكرونها» 7052)

(2) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سترون بعدي أمورا تنكرونها»، 7057).

عندما تتأمل النصوص ستجد كلام النبي-صلى الله عليه وسلم-واضحًا في أن مصدر الفتنة التي تقع على الأمة من داخلها، ثم يتسلط عليها الناس من خارجها.

فيما رواه مسلم أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-أقبل ذات يوم على صحابته فقال بعدما صلَّى: **"سألتُ ربي ثلاثًا، فأعطاني ثنتَين ومنعني واحدةً، سألتُ ربي أن لا يُهلِك أمتي بالسَّنةِ** [بالسنة أي: بالقحط] فأعطانيها، وسألتُه أن لا يهلِك أمتي بالغرقِ فأعطانيها [والمقصود كل الأمة]، وسألتُه أن لا يجعلَ بأسَهم بينهم فمنَعَنيها "[1].

إذًا ماذا تفهم؟ أن الأمة بأسها بينها، أي: سيكون مصدر الفتنة من داخلها.

تسألين تقولين: العدو المسلط على الأمة اليوم هو من غيرها ليس منها؟ كثير من المناطق المحتلة من الخارج؟!

سنجيب هذا السؤال بسؤال: من مهَّد الطريق للعدو الخارج من السيطرة على المسلمين؟ من أنفسنا، نحن مهدنا للعدو أن يسيطر، أهم شيء قبل أن نسيس المسألة وندخل في الكلام السياسي ونقول فلان فعل، نقول: تخلينا عن الدين، تخلينا عن تعظيم الله، والله هذا الذي نفقده، تعظيم الله وسنة النبي-صلى الله عليه وسلم-وتعظيم القرآن.

اليوم الناس يعظمون الشهادات والاختبارات، أسأل ولدي: "درست أو لم تدرس؟" ولا أسأله: "صليت أو لم تصلِّ"! أولًا "درست" ثم "صليت"!

نسأل الله أن يغفر لنا تربيتنا لأولادنا على الاستهانة بالدين وبأمر الله، ننظر لأنفسنا في الإجازات ونرى الإهمال الشديد الذي يحصل للأبناء وإهمالهم في تعظيم شعائر الله ودين الله وحرماته والصلاة والعبادات، واعتكافهم على الألعاب وتعلقهم بكثير من توافه الأمور، هذه توافه الأمور والألعاب ما أناقشه فيها إلا عندما تأتي الدراسة! يعني كأنه وُجد في الدنيا حتى يدرس، وأنا ثائرتي ليست ثائرة على الدراسة لأنها دراسة، الثائرة ثائرة لأن الزمن الذي يملكه هذا الشاب لابد أن يعظم فيه الدين، تكون العشر سنين التي الطفل فيها لين أشكل في قلبه تعظيم الدين، يأتي المغرب أقول له: المغرب أولًا قبل أي كلام، صلِّ أولًا قبل أن تخاطبني، يأتي العشاء صلَّى وذهب لينام أسأله: أوترت؟ أسأله عشرين مرة، وتوضأ قبل أن تنام واجعل الملائكة تبات معك، قد لا يستجيب لكن هذا كله يصبح محفورًا في قلبه قوانين، يعظم شأن الله وكتاب الله وبيت الله، إلى الله المشتكى مما نراه في بيت الله، كل هذه إفرازات ماذا؟ الاستهانة بشعائر الله.

كيف تسلط علينا العدو؟ بعدم تعظيمنا لله وشعائره، فكانت مهابة المسلمين في الأرض لا أحد يحمل همهم، ولماذا يحاربوننا ما داموا لا يحملون همنا؟ لسببين:

1-الثروات الموجودة في العالم الإسلامي، سواء ثروات مادية أو بشرية.

3- أنهم يعلمون أنه من هنا سيكون النور، الآن سمونا الشرق الأوسط كما يعبرون وكل يوم يسمونا باسم، عندهم في كتبهم خصوصًا أهل الكتاب ما يدلهم على أن أهل هذه البلاد سيسيطرون على العالم، فيدفعون هذا الأمر على الأقل في زمانهم، وهكذا يتوارثون سحق المسلمين.

(1) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، 2890).

ولهذا انظري كيف يحملون حملًا على تحكيم الشريعة، عدوهم اللَّدود تحكيم الشريعة، تنشأ منظمة كبيرة منظمة حقوق الإنسان حتى تتدخل في تحكيم الشريعة، لماذا؟ لأنهم يعلمون أن النصر من هنا، تحكم الشريعة ينصرك الله، تحكم الشريعة يرفع عنك الفقر، تحكم الشريعة يواليك الناس، فيأتون إلى هذا الذي يعرفون أنه سبب فيقطعونه.

ستقولين: ما أدراهم؟ من المؤكد أنكم تعرفون المستشرقين، وتعرفون مراكز الدراسات الاجتماعية التي تلف العالم كله، وتعرفون ما يتكلم عنه علماء الآثار وعلماء التاريخ الذين يدخلون كل جحر في العالم، فهؤلاء كلهم يجمعون المعلومات ويقدمونها في تقارير، ولمن كانت عنده خلفية يستطيع أن يقرأ بنفسه التقارير، منشورة بلغتهم ليست مخبأة، أي مثقف يذهب إلى مكتباتهم العامة سيرى هذه التقارير موجودة، تقارير عن الشرق القديم، الشرق القديم وسيطرته على العالم، كلها هذه كتب وتقارير مكتوبة عن علماء اجتماع ومستشرقين.

يأتي مستشرق يفهرس أحاديث النبي–صلى الله عليه وسلم–كلها بالألفاظ، أين أنتم يا طلاب العلم؟ كيف تفهمون هذه المسألة؟ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث كتبه جماعة من المستشرقين، الكتب الستة مع مسند الإمام أحمد وغيره من الكتب اعتكف عليها كلها وكتب لها فهرسًا: إذا أردت أن تبحث عن هذه الكلمة ستجدها في كتاب كذا وكذا وكذا، عكف عليها عكوفًا، يعني هذا يعرف عن السُّنَّة أكثر من كثير من طلاب العلم عندنا.

لماذا هذه الدراسات كلها؟ فقط فكّر بالمنطق، هذه الدراسات كلها ليكتبوا تقارير عن حالتنا: متى سينتصرون؟ متى سيهزمون؟ شخص درس السُّنَّة كلها ألن يخرج بنتيجة هذه الأمّة متى تنتصر؟ هذا كلام صريح في النصوص.

ستقولين: هم لا يؤمنون بالنبي–صلى الله عليه وسلم–! والله إنهم كما وصف ربنا يعرفون صدق هذه الرسالة كما يعرفون أبناءهم، انظري لهذا التشبيه العظيم الذي ورد في كتاب الله، شبه المعرفة بالمعرفة، يعرفون صدق النبي–صلى الله عليه وسلم–كما يعرفون أبناءهم، كيف يعرف الشخص أبناءه؟ هل فيها شبه أو شك؟ أبدًا، هذا أعلى نوع من المعرفة، قد لا تعرف نفسك كما تعرف أبناءك؛ لأن بصرك مسلَّطٌ عليهم، من أن خرجوا من بطن أمهم إلى أن كبروا وأنت تعرفهم، أنت لا تعرف نفسك كما تعرفهم لأنك لم تكن مدركًا لنفسك في وقت الولادة ولا في وقت الطفولة ولا في وقت ما تكلمت، ولا في وقت ما أدركت حقائق المسائل. لكن بالنسبة لطفلي أعرف متى بدأ يتكلم ومتى بدأ يفهم المسائل، تخيلي أنك تعرفين الحقيقة عن أبنائك أكثر مما تعرفينها عن نفسك.

فتصوري كيف يعرفون صدق النبي–صلى الله عليه وسلم–كما يعرفون أبناءهم، وهذا من أبلغ أنواع ضرب المثل أن تشبه المعرفة بالمعرفة بهذه الصورة.

المقصد أن عدوك من الخارج ما سُلِّط عليك إلا بعدما ضعفت في الداخل، ضعفت في ماذا؟ في تعظيم الله وشرعه وتعظيم أمره.

الحل: كلمة واحدة: (تعظيم الله)، بث تعظيم الله في قلوب الناس.

لابد أن تعرفه سبحانه وتعالى لتُعظِّمه، فكِّر في آياته الشرعية وآياته الكونية.

قل لولدك: انظر إلى السماء كيف رفعها الله بغير عمد؟ كل شيء في البيت لا يمكن أرفعه عاليًا إلا وتحته عمود، والسماء رفعها الله من غير عمد وهذا مصداق قوله تعالى في سورة الرعد واقرأ له الآية.

نحن مصابون بالعمى، خاطب ولدك بهذا الكلام {أإله مع الله} لا تجعله يمر على شيء من الكون إلا ويتفكر فيه، وأنت تدبر في الآيات واربط له هذا بهذا، لا تقل: لا يفهم، من خمس سنوات الجهاز في يده انظر كيف يقلبه ثم يعرف أن هذا يأتي بهذا وهذا يأتي بهذا، وما يحتاج أن أكلمك عن ذكائهم، فالذي عنده أبناء وأحفاد يرون هذه الإشارات رأي العين.

المقصد كان سؤالنا: ما مصدر الفتن من الداخل أم من الخارج؟

الفتن من الداخل، وسببها: عدم تعظيم الله-عز وجل-.

إذا كان السبب من الداخل ما علاقة الخارج به؟ تسليط، سلَّطه الله علينا.

ولهذا لما بين الله-عزَّ وجلَّ-في آل عمران سبب ما وقع من هزيمة في أُحُد: {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[1]، فالداخل يضعف الظهر فيجعله مستعدًا للطعن.

ما أسباب حدوث الفتن من الداخل؟ أسباب حدوث الفتن كثيرة:

1- على رأسها: مخالفة منهج الله-عزَّ وجلَّ-الذي أنزله على رسوله-صلى الله عليه وسلم-.

والله-عزَّ وجلَّ-يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[2].

ومخالفة المنهج الرباني تكون بعدم الاستجابة لأمر الله، أي: يصلك أمر الله وتسمعه وترده.

2- الأمر الثاني: نقض عهد الله وعهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

- وهذا الأمر يدور في مسألة التوحيد، فأنت ترى الشرك في كل مكان منتشر للأسف، فهذا نقض لعهد الله.
- أما نقض عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-فيدور حول البدع، وأنت تسمع وترى هؤلاء الناشرين للبدعة، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يزيلها من بلادنا وبلاد المسلمين.

3- يأتي بعد هذا من الأسباب: ضعف الولاء بين المسلمين.

وهذا طبعًا ناتج من عدم استشعار الرابطة الحقيقية، وهي رابطة الدين.

هذه الأمور مرتبة على بعض:

-عدم تعظيم أمر الله-عزَّ وجلَّ-وعدم الامتثال لأمره أدَّى إلى ضعف التوحيد ووجود البدعة، ضعف التوحيد ووجود البدعة جعل الناس-في كل فرقة-يوالون بعضهم بعضًا، لماذا الانشقاقات الآن؟ لأن هؤلاء يقيمون المولد النبوي وتحضر عندهم-زعمهم-روح الرسول-صلى الله

(1) [سورة آل عمران: 165]

(2) [سورة النور: 63]

عليه وسلم-، وهؤلاء ينكرون على هؤلاء أن روح الرسول تحضر عندهم بل تحضر عندهم هم، ثم يأتي أحدهم يقول بل روح الرسول تحضر في كل مكان! الطريقة التيجانية تكذب الطريقة كذا وهؤلاء يكذبون كذا، وهكذا، فهؤلاء يرتبطون على طريقتهم وهؤلاء على طريقتهم، ثم يقولون: "لكل شيخ طريقة" حتى يؤلفون بينهم، ثم كل واحد يمشي في طريقه، وعلى هذا يلتقي المسلمان بسيفيهما وكل واحد فيهم يرى نفسه على الحق والآخر على الباطل، ضعف الولاء سبب للفتنة.

ثم انظر لأهل الدنيا-مسلمين محبين للدنيا-حبهم للدنيا يمنعهم من القيام بحقوق الإخوان؛ لأن الدنيا عندهم مقدمة على رابط الدين، فترى التجار يجتمعون مع بعضهم، وأصحاب التجارة المعينة يجتمعون على الآخرين، تجد هذا يخدع هذا ويغش هذا، وهذا بسهولة يسرق هذا، فترى الأخوة وحقوقها مفقودة، وإن كنا لا ننكر فضل الله أن في كثير من المحن والفتن تظهر جماعة تنشر السنة وتدفع البدعة والشرك وتقوم بواجب الأخوة.

مثله عندما تأتي الأزمات ويأتي تجار مسلمون ويرفعون الأسعار سواء في الموقف البسيط الذي مررنا به في السيول أو في إخواننا في مصر أسال الله أن يرفع عنهم ما ابتلوا به-اللهم آمين-، نحن في وسط الأزمة والناس متضررون وأنت تحتكر أو تغلي الأسعار!! ما هذا المنطق، لماذا يحصل مثل هذا؟ من ضعف الدين، من حبّ الدنيا والتمسك بها، حتى تعرفي أن مصيبتنا من الداخل، لكن الحمد لله في مقابل هذا الذي حصل رأينا وشاهدنا وسمعنا-أسال الله أن يجعله في ميزانهم أجمعين-من أنفق من حُرِّ ماله واجتهد بنفسه أن يكسر هذا الحصار ويكسر رفع الأسعار ويردها عليهم، ونتكلم عن مواقف شهدناها عندما رفعوا المواد الأساسية البسيطة، رفعًا بسيطًا في يوم وليلة لكن رُدَّ عليهم ردًّا قويًّا، فنزلوا الناس بالإعانات قبل أن تقوم الدولة بذلك، فهذا كان ردًّا يدل على وجود الأخوة، الحمد لله فضل الله.

ومثله ما حصل مع إخواننا في مصر من محاولة كسر الاحتكار، وهذا كان على يد من يحمل التوحيد، الحمد لله يدل على أن الأمر ما زال موجودًا، لكن ليس بالكفاءة المرجوة، لا زال قِلة وثُلَّة.

فالأخوة تبدأ في نفوس الناس من عند المعاملات البسيطة، من عند المحافظة على الأعراض، من عند الخوف من الوقوع في عرض المسلمين، وينتهي بإعطائهم أحسن ما عندي، أبذل جهودي أن لا أغشهم، إلى آخر ما تعرف من حقوق المسلمين التي ستحاسب عليها.

إذًا من أسباب الفتن ضعف الولاء بين المسلمين، إذا ضعف الولاء بين المسلمين سيقابله ولاء أهل الكفر، وهذا السبب الرابع من أسباب الفتن:

4- موالاة أهل الكفر، الاغترار بهم، الانبهار بهم، وانعدام العزة بالإسلام، وفقد الثقة بمنهج الله.

والله-عزَّ وجلَّ-يقول لرسوله آمرًا محذِّرًا: {وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ}[1]، فإذا حُذِّر النبي-صلى الله عليه وسلم-من الفتن فكيف بضعاف الإيمان؟!

(1) [سورة المائدة: 49]

هذا أمر عظيم نعيشه: الثناء على الغرب، الهجرة المبطنة إليهم، ترك بلاد المسلمين، تكثير سواد أهل الكفر، لكن أسال الله أن يرد أهل الإسلام لديارهم ويجعلهم قوةً للمسلمين وليس عدوًّا لهم من داخلهم، هذا الدين منتصر لكن الله-عزَّ وجلَّ-يدفع عن بلاد المسلمين خبثها، يطرد من بلاد الحرمين ومن غيرها يطرد من كان في نفسه خبث.

وإذا أردت أن تعرف حكم الهجرة من بلاد الإسلام لبلاد الكفر فاقرأ كلام أهل العلم والنصوص التي تدلك على عظم هذا الجرم، ليس قرارًا خاصًا إنما جُرْمٌ عظيم.

أسال الله أن يرد المسلمين إلى ديارهم وقد زاد إيمانهم، أنا لا أتكلم عن السفر-وإن كان له أحكامه-ولكن عن الهجرة وترك العيش من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفر.

5- المسألة الخامسة من أسباب الفتن الداخلية: ظهور الفاحشة مع ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقبل أن نتكلم فيه عن المستوى العالي وهو الذي يتصل بالدول، نتكلم عن المستوى الذي يخصنا في بيوتنا، فأنت ترى منكرات كثيرة حولك، إما أنك ساهٍ عنها، أو لاهٍ مع إدراكك لها، أو مستثقل وكسلان أن تنكر على أبنائك أو خدمك، أو يأتي الأعظم من ذلك أنك تجامل على حساب الدين مع تمكنك من الإنكار، فتأتينا المشكلة الكبيرة، وهي ترك الإنكار في البيوت، فأثر هذا سيعم إلى الخارج.

وتجدنا نأمر وننهى في شأن الدنيا فصحاء بلغاء، وعندما يأتي الدين ترى الناس يقولون: {لكم دينكم ولي دين}[1]، تصوري لو كنا في مجلس وأقبلت عليك واحدة قصت شعرها، وأنت من المعجبين بالشعر الطويل، ماذا تقولين؟ "لماذا يا فلانة كان أجمل عليك كان أليق كان أحسن.."، أليس هذا شأنًا خاصًّا؟ أليس قرارًا يخصها؟ في مثل هذا يقال لك: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[2]، وأي جراءة مكنتك من انتقاد فعلها أو لبسها أو لون شعرها؟ ثم تجدينها تلعن أبناءها أمامك أو تسبُّ زوجها وتتكلم عنه بالباطل، وإذا قيل لك: "انصحيها" قلتِ: "حرية شخصية"، انظري لهذه الانقلابة!

ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لتسلط العدو علينا، لا تكلموني عن الهيئات ولا عن المجتمعات، كلموني عن البيوت والاجتماعات الخاصة، ثم وقتها نتكلم عن ما هو أعلى منه.

ثم لا تنقلب الأمور علينا، يأتون للخروج عن ولي الأمر ثم يكلمونني عن إنكار المنكر، الشريعة أمرت بالإنكار وجعلت للإنكار طريقة، ألستم كلكم تحفظون حديث: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه"[3]؟ فمن قال لك إن الشريعة أمرتك أن تخرج ببدنك للإنكار على ولي الأمر؟ الشريعة جعلت لإنكار المنكر طريقًا معروفًا، وقد سبق أن تناقشنا فيه، وأنا هنا أشير له؛ لأن هذا لا زال من الأمور التي تتكرر على الناس، لا زال من الفتن التي يتكلمون عنها.

---

(1) [سورة الكافرون،: 6]

(2) رواه الترمذي (2317)، وابن ماجه (3226)، وصححه الألباني.

(3) رواه مسلم في صحيحه(كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، 49)

الشريعة لا تقول لك قدس الإمام، ولا تظن أنه مقدس معظم، لكنها تأمرك بحفظ كرامته، تأمرك أن لا تتكلم عنه، تأمرك أن لا تسبَّ الإمام، لما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه"[1]، ولما أخبر النبي-صلى الله عليه وسلم-: "ثلاثٌ لا يُكلِّمُهمُ اللهُ يومَ القيامةِ ولا يَنظرُ إليهِمْ ولا يُزَكّيهمْ ولهمْ عذابٌ أليمٌ" وعدّ منهم " ورجلٌ بايَعَ إمامًا لا يُبايِعُهُ إلا لِدنْيا ، فإنْ أعطاهُ مِنْها وفَى ، وإنْ لمْ يُعطِهِ مِنْها لمْ يَفِ"[2]، يعني: ضيَّق عليه في الدنيا، ماذا يفعل هو في المقابل؟ يخرج عليه.

كونك تأمر الإمام بالمعروف أو تنهاه عن المنكر لابد أن يكون هذا وعظًا، وفيما بينك وبينه، وأن يكون هذا الأمر لا يسبب فتنةً للمسلمين ولا يسبب فتنةً لك خاصة.

ولذلك لما أتوا إلى الإمام أحمد وقالوا له إن الأمر تفاقم وفشى-يعنون: خلق القرآن-، ويريدون الخروج على إمامهم، قيل لهم: قدِّروا المصالح والمفاسد. ثم أنت في كل مجلس تكلم عن أسباب المنكر، مثلًا: لو خرجوا ينكرون التحاكم إلى غير ما أنزل الله، ما الطريقة الشرعية لنشر الحكم بما أنزل الله؟ من في الناس يقبل أن ابنه لو سرق تقطع يده؟ نكذب على أنفسنا! ونقول إن الناس يقبلون الشريعة!

أولًا: علِّم الناس تعظيم الشريعة، ثم طالب بإنزالها. الإصلاح والإنكار من الأسفل للأعلى وليس من الأعلى إلى الأسفل؛ لأن ما أتى منكرًا في الشريعة وأنت تعلم أنه منكر، الناس حولك لا يتفقون معك.

في الأفراح والزواجات انظري لمختلف أنواع المنكر، أريد أن أكتب لوزير التجارة أن يمنع استيراد الملابس العارية، من سيضاربني أولًا: وزير التجارة أم النساء الذين يلبسون العاري؟ النساء. ولو طلبنا ذلك سيذهبن لقص أكمام الملابس عند الخياطات؛ لأنهم هم بأنفسهم يحيكون ملابس عارية، فكيف تكلمني عن وزير التجارة والإنكار عنه والنساء في البيوت فاقدات للإيمان والحياء؟ والله المستعان.

و(منكم يولى عليكم)، وكما قال ابن الجوزي: "إن جور الملوك نقمة من نقم الله"[3]، أنت راعٍ تعاملك مع الله وابدأ بإنكار المنكر.

إنكار المنكر مسألة عظيمة، وضعفه سبب لتسلط أهل الكفر علينا وسبب لانهيار المجتمع وسبب لكثرة الفتن، لكن ما هو المنكر الذي ستنكره، وما هو السُّلَّم الذي تتبعه؟ ومن أين؟ ومن هم الأشخاص؟ وما هو فقهك في الإنكار؟ كل هذه مسائل مهمة.

ثم لا تنسَ قبل أن تدرك هذا كله بتفاصيله: أين إنكار القلب؟! أين إنكار القلب؟! تمارس أمامنا أشياء كثيرة منكرة ولا أحد يتكلم، مثلًا في الفتنة التي وقعت في الديار الحبيبة كانوا يستعملون السباب، ويكتبون ألفاظًا فيها سب، والنبي-صلى الله عليه وسلم-يقول: "سباب المسلم فسوق"[4]، يعني: الذي يسب فاسق، والفاسق لا تقبل شهادته إذا شهد في المحكمة، ولا يكون إمامًا بالناس.. ماذا فعل الناس تجاه هذا السِّباب؟ ماذا وقع في قلوبنا؟ غالب الناس يقرؤون ويبتسمون وبعضهم يكمل هذا الكلام المكتوب بطريقة ملفتة ويرسله رسائل في الوسائل الحديثة، والذي ما قرأه يصله إلى حده في رسائل جوال! تكلمني عن إنكار منكر على ولي الأمر وأنت تقوم بنفسك بما حكمه في الشريعة فسق؟

---

(1) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، وابن عبد البر في "التمهيد".

(2) رواه البخاري (7212)، ومسلم (108).

(3) ذكره ابن الجوزي عن الحسن البصري في كتاب "آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه ".

(4) رواه البخاري (48) ومسلم (64).

والله هذا ما هو إلا مجرد استعمال للشريعة في إثارة الناس، ليس هذه طريقة إنكار المنكر، ثم من قال لك أن الشريعة تأمرك بالأعلى قبل الأدنى؟ ثم من قال لك إنك المسؤول عن الإنكار على ولي الأمر؟ لا يُسأل عن الإنكار على ولي الأمر إلا أهل الحلِّ والعقد، والأدنى يرفع للأعلى، مثلًا إمام مسجد الحي بالنسبة لي يعتبر رأس، ترفع إليه المنكر، في المملكة مثلًا معروف أن المناطق مقسمة وفي كل منطقة هيئة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وحقيقة نحن استعملنا هذا الأسلوب بتفاصيله، كان يوجد منكر في أحد المنتزهات أحدهم يلعب ألعابًا فيها وهم بالسحر، طلبنا من إمام المسجد أن يعطي هذه الرسالة لهيئة الأمر بالمعروف، والهيئة قامت بإجراءاتها ورفعتها للأمارة، والأمارة رفعتها لوزارة الداخلية، بعد 5 أو 6 أسابيع وزارة الداخلية أصدرت أمرًا بإجراء اللازم وإنكار هذا المنكر والحمد لله، لكن تخيل لو أذهب لصاحب هذا المكان وأعتدي عليه، أو أحدث إثارة في المكان، من الذي سيؤخذ للسجن؟ أنت، ليس هذا طريقًا للإنكار، ليس المطلوب أن يأتي كل شيء بسرعة، ابدأ بإنكار القلب ثم تحرك.

كثير من المنكرات اليوم يمكن إرسال رسائل بالبريد الالكتروني أو حتى الفيس بوك في المواقع الشخصية لهؤلاء الأشخاص وبكل أدب تكتب لهم ما تراه منكرًا، هل فعلت؟ أو تكلمت في الزوايا؟! لو أتكلم عن وضعنا، هناك برقيات ترسل إلى الديوان الملكي، عندك منكر أرسل أو اتصل من بيتك، واذكر اسمك الصريح واذكر ما يثبت حالك، لكن والله كم من المنكرات تمر بين أيدينا نكون نحن الممررين لها غير التي ارتكبناها، ثم يقولون ننكر المنكر.

لا زلنا نقول: ترك إنكار المنكر أحد الأسباب العظيمة للفتنة، لكن تفقه في إنكار المنكر، ابدأ بالإنكار القلبي والزمه ثم ترقى إلى ما هو أعلى منه.

أسأل الله أن ينفعني وينفعكم، في اللقاء القادم إن شاء الله نتكلم عن موقف المسلم من الفتن عند حدوثها.

جزاكم الله خيرًا.

اللقاء الرابع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل الله وبنعمته نتدارس هذا العلم الشريف، العلم عن الله–عزَّ وجلَّ–من كتابه وسنَّة نبيه–صلَّى الله عليه وسلَّم–.

وواجهتنا أمور هذه الأيام كان لابد من الانتقال إلى الكلام فيها ومناقشة موقف المسلم منها وتأصيل هذا الموقف؛ لذلك ابتدأنا الكلام حول الفتن.

فكان خلال لقاءنا الماضي نقاش حول الفتنة ومعناها، وتبين لنا أن الابتلاء والاختبار هو المعنى الجامع لكلمة فتنة في القرآن والسنَّة، وعرفنا أقسام الفتن أن منها **فتنة عامة**، وضربنا لذلك مثالًا:

- فتنة الشيطان.
- وفتنة حب العيش وكراهية الموت.
- وفتنة الهوى والدنيا.
- وفتنة المال والزوجة والأولاد.
- وفتنة النساء الأجنبيات.

ثم أتينا بالكلام حول **الفتن الخاصة** التي تصيب زمانًا، وتصيب أشخاصًا بعينهم.

وهذه الفتن الخاصة هي موضوعنا، والنبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–بيَّن الفتن العامة بيانًا واضحًا، وبيَّن الفتن الخاصة بيانًا واضحًا

ثم ذكرنا مصدر الفتن التي تقع على الأمة، واتفقنا أن هذه الفتن التي تخص هذه الأمة تبدأ من داخلها ثم يتسلط عليها عدوها من الخارج.

أي أن الفتن العامة التي تصيب كل الناس، مسلم وكافر، هذه نسميها: فتنة عامة، والفتنة الخاصة: هي التي تصيب المسلمين عمومًا، أو تصيب المسلم خصوصًا.

أي إما في خاصة نفسه، أو في عامة أحوال المسلمين.

المهم أن هذه الفتن الخاصة التي تخص الأمة ما مصدرها؟

كان الجواب: مصدرها من الداخل، ثم هشاشة الداخل تسبب تسلط الخارج، أي أنه في الظاهر أن الغرب والشرق واليهود والنصارى هم سبب ما نحن فيه، وفي الحقيقة داخلنا انهار فتسلط علينا أهل الباطل من الخارج.

نرى الآن أسباب حدوث الفتن، ونرى أيضا موقف المسلم من الفتنة.

أول وأهم أسباب حدوث الفتن، وهذا مررنا عليها المرة الماضية لكن نؤكد عليه:

أهم الأسباب: مخالفة منهج الله-عزَّ وجلَّ-، عدم الاستجابة لله-عزَّ وجلَّ-ولرسوله، لا في الأحوال العامة ولا في الأحوال الخاصة، لا في حال السلامة من الفتن، ولا في حال الفتنة.

هذا السبب كفيل بأن تكون النتيجة أن يُفتن الإنسان، وأن تُصيب الأمة الفتنة.

نحن ذكرنا عدة أسباب لكن هذا السبب هو أهم سبب، وهو نفس السبب الذي يسبب للإنسان الضلالة وقت الفتنة، لا يستجيب لأمر الله، يفلسف الأوضاع، ويفلسف المخالفات، ويدعي زورا وبهتانا أمورا تجعله يقتنع بمخالفته للكتاب والسنَّة. وسيتبين هذا إن شاء الله عندما نتكلم عن موقف المسلم من الفتنة، وكيف أن القوم عندما تكلمينهم بهذا الموقف يسمون موقفك جُبنًا! يقولون: إن هذا من فتاوى علماء السلطان، حتى عندما تصل إلى حد تبين فيه أن كل كلمة تقولها قالها الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-وأن هذه الأحاديث التي تتكلم بها موجودة في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم يخرجون باتهامات للبخاري ولمسلم وللنُسّاخ، ولأهل طباعة الكتاب، أي من عند أهل طباعة الكتاب إلى البخاري يهون عليهم أن يتهمونهم بدون علم ولا روية، فهذا دليل على أن الناس وقت الفتنة يفقدون عقولهم، وهذه هي الحقيقة، أن الناس وقت الفتنة يفقدون عقولهم، فتجدهم يتهمون من كانوا يعظِّمون، ويتهمون أهل العلم ومَن أراد نجاتهم باتهامات لا تقال حتى في حق عدوهم.

على كل حال، ما سبب الفتنة؟ لها أسباب كثيرة، وعلى رأسها وأهمها: عدم الاستجابة لله ولرسوله حين يأمرنا.

وكل واحد واثق في عقله وتفكيره، كل واحد له رأي يحلل الأمور كما يتصور!

فهذه أعظم المخالفات، أنك في وقت الفتنة، وقتما توصف لك فتنة سوداء ظلماء تقول: إني أستطيع أن أفهم وأُميّز.

وكما يقول أحد السلف: إن الفتنة إذا أقبلت تشبهت، وإذا أدبرت تبيّنت.

وعلى هذا، والفتنة مقبلة ستكون تشبه الحق، وستكون فيها مما يغُرُّ قليل العلم أو مما يغر شخصًا ليس بحصيف الرأي

ولعلي-رضي الله عنه-قول يبين هذه الحال، يقول-رضي الله عنه-: "وضع الله في هذه الأمة خمس فتن، فتنة عامة، ثم فتنة خاصة، ثم فتنة عامة، ثم فتنة خاصة، ثم تجيء الفتنة السوداء المظلمة التي يصير الناس فيها كالبهائم."

والشاهد: (فتنة سوداء مظلمة).

فإذا كانت سوداء ومظلمة من المؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يتبيّنها، لكن هي ستُبين الناس، أي أنك لا تستطيع أن تتبيّنها، ولا أن تميزها؛ فلذلك لك موقف خاص، لكن هذه الفتن هي التي تبين الناس وتكشف معادنهم، ولهذا نُقل عن سعيد ابن جبير كلامًا معناه: أن في الفتنة يتبينُ مَن يعبد الله ممن يعبد الطاغوت، وقد ورد حديث فيه ضعف، لكن يُحمل في حكم المرسل، أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: (الفتنة تُرسل مع الهوى، فمن اتبع الهوى كانت فتنة سوداء)

إذًا معنى هذا، لماذا لا يستجيب الناس وقت الفتنة لأمر الله وأمر رسوله؟

ذكرنا ثلاثة أسباب.

مرة أخرى، نحن الآن ننتقل من أسباب حدوث الفتنة إلى موقف المسلم من الفتن.

تذكرنا أولًا: أهم أسباب حدوث الفتنة وهو عدم الاستجابة لأمر الله ولأمر رسوله.

لماذا تحصل عدم الاستجابة؟ هل عدم الاستجابة وقت الفتنة أم قبلها؟

نقول: إن عدم الاستجابة يكون أمر قد تركب عليه تفكير الإنسان، فما الذي يأتي بالفتنة؟ أن الناس أصلا عندما يُعرض عليهم أمر الله وأمر رسوله يُقلِبونه في عقولهم فما وافق هواهم يأخذونه وما لم يوافق هواهم يردوه، هذه أصل حالهم فكان هذا سبب للفتنه.

ثم هذه الحال وهذه الخصلة التي تمسكت في قلوبهم هي نفس الخصلة التي سيعاملون بها الفتنة، فقبل أن أعرف موقف المسلم من الفتن، سمعت هذه النصوص التي تتكلم عن الفتن الخاصة، وفهمت أن **هناك ثلاثة أسباب تجعل الناس في الفتنة وفي وقت الأزمة لا زالوا لا يستجيبون لأمر الله ولأمر رسوله.**

ما هي هذه الثلاثة أسباب؟

السبب الأول: أنها تتشّبه عليهم، هل هذا مطالبة للحقوق وإنكار للمنكر؟ أم هذا خروج على ولي الأمر؟

هل ولي الأمر هذا يستحق الخروج عليه أم لا يستحق؟ هل نحن نخرج لأمر الدنيا أم لأمر الآخرة؟ تتشبّه، فالفتنة بطبعها إذا أقبلت تشبّهت، وإذا أدبرت تبيّنت.

فهذا يجعل الناس لا يستجيبون لأمر الله ولأمر رسوله عند كثير من الناس لأن الأمر تشبّه عليهم أصلًا.

السبب الثاني: الهوى.

لهم هوى، لهم مصالح، ليس شرطا أن تكون المصالح مادية، حتى مصالح معنوية، حتى حب العلو، حتى العناد، حتى الإصرار، حتى الكبر، حتى العجب بالرأي، هذا كله يوافق الهوى.

السبب الثالث: أن الله من حكمته جعل هذه الفتنة تبيّن من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت.

فالسبب الثالث الذي يجعل الناس لا يتبعون أمر الله ما كانوا يحملونه أصلا في قلوبهم، فعندما يكون الإنسان في حياته العامة لا يعرض أحواله على أمر الله، في وقت الفتنة يكون هذا حاله.

إذًا الفتن قد تتشبه على بعض الناس فلا يستجيبون لأمر الله، الفتن قد توافق هوى بعض الناس لذلك لا يستجيبون لأمر الله، الفتن ستصادف قلوب أصلا لا تستجيب لأمر الله فتكشفها، وقت الفتنة تنكشف حقائق الناس. وعلى هذا كل من لا يستجيب لأمر الله الغالب أنه يدخل في أحد الثلاثة أمور هذه، إما أنه تشبه عليه فاغتر، وهذا كثير كثير ممن نسمع أنهم دخلوا في الفتن، كان سبب دخولهم الاغترار، اغتروا، وهناك من تابعوا هواهم، فلهم مصالح ولو كانت مصالح نفسية، والصورة الثالثة، أن النفوس يكون في داخلها أصلا عدم استجابة فتأتي هذه المواقف والأحوال وتأتي هذه الفتن فتكشفهم على حقيقتهم.

نأتي الآن إلى الموقف الصحيح، فالكلام الذي مضى إشارة إلى أن الناس لماذا لا يأخذون هذا الموقف؟ لماذا لا يستجيبون لك عندما تخاطبهم؟ ما ذكرنا من أسباب.

والموقف الصحيح؟؟؟

أولًا: لا بد من التثبت، بحيث أنك أنت تعرف ما هي هذه الفتنة التي أنت فيها، ما هي هذه الحال التي أنت فيها؟! أنت لا يُطلب منك النظر على كل الأحداث على أنها فتنة، إنما لابد من اختبارها من أجل أن يتجلى لك الأمر.

ماذا لو ما كان عندي ذاك البعد من أجل أن يتجلى لي الأمر؟

إذًا عليك بهذا المسلك الذي أرشدنا الله إليه قال تعالى: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به} هذا هو المسلك الباطل.

{ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم}[1]

إذًا هذا منهج واضح، ما هو هذا المنهج؟!

أولًا هذه الآية فيها نهي أن تتعامل مع الأحداث التي تجري حولك معاملة المنافقين للأحداث، فالمنافقون ضعيفو الإيمان لهم معاملة مع الأحداث وهي الإذاعة لكل الأخبار.

إذا كان هذا موقف أهل النفاق فما هو موقف أهل الإيمان؟

وُصف موقف أهل الإيمان والأدب الذي سيتعاملون به في أمرين:

أولا: أنهم يتثبّتون، لا يستعجلون بإشاعة الأخبار التي تأتيهم سواء كان خبرا يتعلق بالأمن والسرور أو بالخوف. فالآية تدلنا على أنه إذا جاء أمر من الأمور المهمة أو المصالح العامة التي تتعلق بالمسلمين، من أمنهم أو خوفهم، عليك أولا أن تتثبّت ولا تستعجل بإشاعة الخبر.

ثانيا: عليك برده إلى الرسول وهذا في حال حياته-صلَّى الله عليه وسلَّم-، وإلى أولي الأمر منهم، أي أهل الرأي والنصح والعقل والرزانة، وهؤلاء الذين يعرفون الأمور والمصالح وضدها.

فهؤلاء إذا رأوا في إذاعة هذا الخبر مصلحة أذاعوه، إذا رأوا مضرة توقفوا عن إذاعته.

وهذه كما يشير الشيخ السعدي في تفسيره، هذه قاعدة أدبية، وهذه القاعدة الأدبية تُستعمل في كل حال، في أننا لا نستعجل، لا ننشر الأمور حين سماعها، نتأمل في الكلام وننظر إليه، وإذا ما استطعنا أن نقدره-وهذا الغالب علينا-نرده الى مَن هم أهل علم، وأهل فضل، وأهل حكمة؛ ولهذا يأتي بعد هذه الآية قوله: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا}[2]

أي: أن الله-عزَّ وجلَّ-لو لم يؤدبكم ويعلمكم لتآمرتم بالشر، لتآمرتم أنتم والشيطان، وأنتم وأنفسكم، وأنتم ومن معكم بالشر

(1) [سورة النساء: 83]

(2) [سورة النساء: 83]

فالمقصد أنك في كل أحوالك منهجك العام: التثبت.

واليوم اسأل عن الإعلام وعن فقدان هذه الصفة، وعن تخصص أناس كثيرين في داخل الإعلام لما يسمونه: (حبكة الخبر) أي أن خبرا من سطر، يأخذ في الإخبار عنه عشرين ثانية، عندهم في وسائل الإعلام أناس متخصصون يحولون خبرا يُقرأ في عشرين ثانية إلى خبر يُقرأ في خمس إلى سبع دقائق، وبينه فواصل، واتصال بمراسلين من هنا ومن هناك، فهؤلاء مجموعة من الكذابين يضخمون الخبر ويجعلون له بعدًا، وكل من له علاقة بما يسمونه بحبكة الخبر لابد أن يكون عنده كما يعبرون (أجندة) يخدمها، لابد أن تكون هناك جهة يخدمها، فيحبك الخبر على الجهة التي يريد أن يخدمها. ولهذا عندما تكون هناك جهات لا علاقة لهم بها يأتي الخبر مختصرًا، كلمتين وربما في النشرة القادمة لا يخبرونك عنها.

نحن في هذه الأحداث عندما أتى زلزال نيوزيلاندا، زلزال عظيم هز تلك البلاد، وله آثار عظيمة، والناظر له يرى كيف انتشرت الفتن في كل مكان والزلازل والبراكين، إلى آخره، وفي وسط هذه الأحداث ما أعطوه حتى عشرين ثانية، قيل مجرد خبر، وفي النشرة القادمة ما تكلموا عنه أصلا لأن عندهم أجندتهم التي يخدمونها الآن وهذه الأخبار ليست لها قيمة بالنسبة لهم.

المقصد أن وسائل الإعلام كانت ولا زالت حربا على أهل الإسلام، كانت ولا زالت تستغل الفرص لاتهام العلماء، ولنشر ثقافة عدم الاستجابة لله ولرسوله.

ونحن يؤسفنا أن نقول: إن كثيرا ممن استعمل وسائل الإعلام وكان قصده نشر الإسلام من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر أجّج الفتنة، وجعل الناس الذين يثقون فيه أو في هذه الوسيلة ينهجون منهجًا غير شرعي في الفتنة، وهذا ليس كلام في النيات لكن كلام في الأعمال، الله أعلم ماذا كانوا يريدون، الله أعلم ماذا كان وراءهم، الله أعلم أنهم يريدون الحق في تصورهم.

لكن كما اتفقنا أن الفتنة تتشبه على الشخص، فكن تابعًا في الخير ولا تكن رأسًا في الشر.

فعدم التثبت وعدم العودة إلى العلماء سيكون سببا لأن يطلق الإنسان لسانه والفتنة لم تتبين له بعد.

فأول موقف للمسلم هو: **التثبت**.

ما هو هذا الذي نحن فيه؟؟ هذا سؤال.

تتقلب كل الأمور على حسب الهوى، فعندما يكون قد أتى سيلًا عارمًا، وذهب في هذا السيل أرواح وأموال، ثم يُصر كل متكلم أن يقول إن هذا ليس له علاقة بالذنوب، فأين ذهبت كل الأدلة التي تدل على أن الذنوب لها آثار؟؟

فيقولون لك: هل كل أهل البلد مذنبون؟

نقول: لا، ليس بهذه الصورة، عندما تقع المصيبة يكون لكل أحد فيها نصيبه، هناك من تُرفع درجاته، هناك من تُكفر سيئاته، هنا من يفتح له بابٌ للتوبة.

أليس الناس: ظالم لنفسه، مقتصد، وسابق بالخيرات؟ أليس الناس بهذه الصورة؟

إذًا تنزل لا تستطيع أن تقول إنها ليس لها علاقة بالذنوب، لها علاقة بالذنوب، لكن ليس كل من وقعت عليهم مذنبين. لكن تستطيع أن تنكر أن لا شيء؟ وأن لا ذنوبًا؟ وأن مطرًا ينزلُ من السماء ويحمل معه ما حمل من سيل عارم ثم تريد أن تقنع نفسك أن هذا ليس بشيء ولا أثر له؟ ولا تقول للناس: استغفروا وتوبوا وعودوا؟

نحن لما رأينا بركان أيسلاندا في أيسلاندا ونحن نبعد عنها آلاف الأميال كان الواجب علينا أن نستغفر ونتوب.

الآن زلزال نيوزيلاندا التي في استراليا في وقت سيل جدة فاض عليها النهر وأغرق جزء كبير من أرضها، وفي أقل من شهر عاد ووقع عليهم زلزال في الجهة الجنوبية من الجزيرة!

المقصد أن هذه الأحداث تحصل عندهم لكننا لا نقف حيالها موقف المتفرج، لا زلنا نقول: ها هي تنتشر الزلازل والبراكين، ها هي الدنيا تخرب، ها هي الأوضاع تزداد فورانًا؛ توبوا يا قوم، استغفروا، ربكم يرشدكم إلى آثار قدرته.

نحن لو كان في السماء خسوف أو كسوف تُبنا واستغفرنا فكيف لو مر السيل تحت أقدامنا؟

المقصد: أن نسأل ما هذا الذي يجري لأهل العلم وليس لأهل الأهواء؟

هذا تنبيه من الله، هذا تحذير من الله، هذه فتنة وليس بأمر بالمعروف أو نهي عن المنكر.

مثلًا: في الأحداث السياسية التي حصلت بدأت القصة بمخالفة شرعية مهمة، بشخص يقتل نفسه ثم يُغمض العين عن هذا القاتل لنفسه، وتُبارك الثورة!

من المؤكد أن في الشريعة الوسائل لها أحكام المقاصد، فكيف يُغض الطرف عن جريمة عظيمة ثم يُبارك مثل هذا الفعل؟

ثم كيف ترى الأمر وتكتب فيه أو تتكلم وأنت لم تتثبّت بعد ما هو؟ وغالبًا وأنت بعيد لا تعرف تفاصيل كثيرة، إنما أنت رهين الإعلام.

كيف وأنت أيضا فيك هوى فيجتمع هواك مع الإعلام فتخرج قصة غير حقيقية، يخرج رأيًا غير حقيقي.

المهم:

الموقف الأول: هو التثبُّت في الفتنة، لابد أن تعرف أنت في أي حال الآن؟ ما هو هذا الأمر؟ تعرف قواعد شرعية أساسية، إذا ما استطعت أن تعرف عليك بسؤال أهل العلم، عليك بالرَّوية.

أحيانا الفتنة تكون تخص البيت، تخص مكان العمل، تخص الزملاء، مهما حكيت لأحد في الخارج لا يفهم ما أنت فيه، ولا يمكن أن يُقدر لك الحال، ماذا أفعل؟ أتعبّد الله بالرَّوية، بالهدوء، بعدم العجلة، إذًا التثبُّت التثبُّت، الرَّوية الرَّوية، عدم إصدار أحكام.

إذًا الموقف الأول وقت الفتنة هو التثبت في الفتنة، وقلنا إن التثبُّت في الفتنة فيه أمرين:

أولًا: المطلوب منك أن تتثبَّت في الفتنة.

ثانيًا: ماذا تسلك وأنت تتثبَّت في الفتنة؟ مسلكين:

1) تتأكد ما هي هذه الحالة التي تمر بها؟ أو مجتمعك الذي يمر أو مؤسستك؟ هل هي فتنة؟ هل هو منكر؟ هل هو معروف؟ تسأل، وهذا السؤال يكون بعد روية، أي أولًا: اهدأ، تثبت، اسأل.

2) أن تكف لسانك عن الكلام، تكف قلمك عن الكتابة، لا تخوض، لا تصدر أحكامًا، ووالله لو تعرفوا إلى أي درجة خطورة الكلمة في الفتنة، كم من أشخاص حكم عليهم أحكام، سأبدأ بالأوضاع التي تخصنا قبل أن نتكلم عن الأمة.

لو كنت في مؤسسة أو دائرة حكومية أو في أي مكان يحصل فيه تجمع، ويتناقل الناس الخبر عن شخص، ويتكلمون ويحكمون، فتصور أن هذا يفقد وظيفته بناء على فتنة دخلت فيها هذه المؤسسة.

أحيانا يحصل لأشخاص أنواع من الظلم والحكم عليهم وتسويد صحائفهم بسبب عدم التثبت وانطلاق اللسان،

دائما يقال: أنت يا رأس كيف تسمع هذا الكلام؟ أنت الذي ستكتب مثلًا حكمًا على هذا أو تفصله أو تخرجه من عمله كيف تسمع؟

هي نفس القصة، أن الفتنة عندما تُقبل تتشّبه، عندما تدبر تتبيّن، فحين نلقى الله وقد قلت شطر كلمة سبَّبت لهذا الشخص فقدان عمله، أو سبَّبت لهذا الشخص تشويه سمعته، ماذا سيكون ذلك عند الله؟

ولهذا النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-حذرنا من إطلاق اللسان في الفتن، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((تكون فتنة تستنظف العرب-تستنظفهم: أي تقتلهم-قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف))[1]

إذًا هذا هو الموقف الأول، له مسلكان: تسلك التثبت، ومن الجهة الأخرى تسلك مسلك كف اللسان، أي إلى أن تتثبت وتعرف ما هي هذه القضية، تمسك عليك لسانك وليسعك بيتك.

الموقف الثاني: الثبات على الدين الحق.

إذا تبين لي ما هو هذا الأمر الذي أنا فيه وجب عليَّ أن أعرف ما ديني في هذه الحال؟!

أنا الآن أدين الله بماذا؟ ماذا أعتقد في قلبي؟! وماذا سأفعل بجوارحي تجاه هذا الذي أمرُّ فيه؟!

وإذا أردنا أن ندين الله-عزَّ وجلَّ-بدين الحق فعلينا بالكتاب والسنَّة ومنهج السلف، وإذا أردنا أن نتكلم عما نحن فيه ستجد النصوص العظام تصف لك موقفك بصورة تفصيلية:

الفتن عمومًا لها قاعدة، وهذه القاعدة ذكرها النبي-صلى الله عليه وسلم-في أعظم فتنة وهي فتنة الدجال.

قال لنا في فتنة الدجال: ((من سمعَ بالدَّجَّالِ فلينأَ عنْهُ))[2] أي: يبتعد عنه.

على هذا ستكون القاعدة الأساسية لمعالجة الفتنة بالنسبة لك هي: أن تنأى عن الفتنة.

ثم تفهم أحوال الناس في الفتنة، مَن هم الناس الآن في الفتنة؟

(1) أخرجه أبو داود (4265)، وابن ماجه (3967)، وأحمد (6980) واللفظ لهم، والترمذي (2178) باختلاف يسير، وضعَّفه الألباني.

(2) أخرجه أبو داود (4319)، وأحمد (19968) باختلاف يسير.

يقال لك: ستكون فتن كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-: " **سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي مَنْ تشرّفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ** " (البخاري)

وفي رواية مسلم: قَالَ النَّبِيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-:" **تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْيَقْظَانِ وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَسْتَعِذْ** "[1].

وفي رواية أخرى: إن الفتنة تستشرف (أي تحرص، تبحث عن أبناء لها)

فمن سيكون ابنها؟ إن الفتنة تستشرف لمن يستشرف لها. أي تحرص على من حرص عليها.

إذًا الموقف الثاني: الثبات على الدين. يأتي سؤال:

ما ديني الذي أدين الله به وقت الفتنة؟

المسلك الأول في الدين هي القاعدة التي ذكرها النبي-صلى الله عليه وسلم-في الدجال: (فلينأ عنه)

وهذه القاعدة يؤيدها هذا النص:

في آخر الحديث قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: " **وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ** "

إذًا هذا مسلكنا الأول: الهروب من الفتنة، وأنت لا يُعاب عليك الهروب، ولا يعاب عليك البعد عن الفتنة، بل يعاب عليك ضد ذلك.

إذًا هذا أول مسلك وهو أن أكون ممن ابتعد ونأى عن الفتنة.

المسلك الثاني: أن أدين الله بأن هذه فتنة.

أي في اعتقادي أقول: هذه فتنة، وليست أمرًا بمعروف ولا نهيًا عن منكر، وسأفصّل في هذا إن شاء الله.

(1) أخرجه البخاري (3601)، ومسلم (2886) باختلاف يسير.

مرة أخرى ليتبين الفرق بين الأول والثاني:

نريد منك أن تثبت على الدين الصحيح-نسأل الله أن يثبتنا جميعًا-

فأول مسلك من أجل الثبات على الدين بعدما تبيّن لك أنها فتنة: تنأى عنها على قاعدة الهروب، وهذه قاعدة متصلة لا يغرّك من يخالفها من عند يوسف-عليه السلام-عندما هرب من الفتنة الخاصة من المرأة، واستبق الباب إلى قيام الساعة عندما يأتي الدجال ونكون مأمورين بأن ننأى عنه، هذه سلسلة متصلة تقول لك: اهرب، اهرب من الفتن، لا تواجهها لأنك ليس لك يدًا في أن تغيرها، وهي أقوى منك، تأخذك، وكما أن الناس يهربون من السيل وهو ماء لطيف يشعرون أنهم يغرقون فيه، ومن المؤكد أنهم يهربون من حميم البراكين-نسأل الله أن يحفظنا من النار-فالفتنة أشد من هذا وذاك.

فالواجب علينا الهروب هذا المسلك الأول: أن نهرب بأنفسنا.

المسلك الثاني: هل تهرب لأنك جبان؟ أم لأنك تدين الله أن هذه فتنة؟

نحن ندين الله أن هذه فتنة، ونعتقد أن هذه حال فتنة، وليست أمرًا بالمعروف ولا نهيًا عن المنكر ولا تغييرًا للمنكر، فهذا الذي فتن أناسًا كثيرين، وغرّ أناسًا وجعلهم يدخلون في هذا الأمر من حيث لا يشعرون.

نناقش كون هذا الأمر ليس أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر:

أولًا: نقرر أن الشريعة أمرت بتغيير المنكر، فالتغيير ليس لشهوة التغيير، فنحن عندنا كثيرون يحيطون بنا عندهم شهوة للتغير، فلا يغيرون لأنه منكر واقع، بل لشهوة واقعة في نفوسهم، وقد دُربوا على ذلك، ونحن ابتلينا زمنا بدورات جهزت هذه المصيبة، من زمن قريب ونحن نسمع: هل تريد أن تغير نفسك؟ هل تريد أن تنجح في التغيير؟ تعال إلى دورة تعلمك كيف تغير.

وكل هذا تدريبات جزئية للنفوس بأن لا تقبل الوضع الواقع عليك أبدًا، يجب أن تثور ومن يريد أن يعرف هذه الحقيقة يقلب صفحات مثل هذه المنتديات التي تتكلم عن التغيير، ويرى كم تتكرر كلمة ثورة عندهم.

ونحن لا زلنا نقول: إن كثيرًا ممن شاركوا في هذه المصيبة العظيمة لا يعلمون ماذا كانوا يفعلون.

المقصد الآن: هل هذا أمر بمعروف ونهي عن المنكر؟

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن نناقش فيه ثلاثة أمور:

(1) تريد أن تغير المنكر يجب أن تكون الوسائل المستخدمة في التغيير شرعية.

(2) هل الراية المرفوعة لإيجاد التغيير إسلامية أم جاهلية؟

(3) هل عواقب التغيير مأمونة؟

إذًا هذه ثلاثة أمور لابد لأهل العلم والبصيرة ألا يدخلون في أمر التغيير إلا من خلال مدارستها وتأملها، إذا سقط واحد من هذه الثلاثة فلن يكون تغييرًا، إنما سيكون شرًا محضًا.

إذًا لا يكون التغيير مشروعًا إلا إذا كانت الوسائل التي نستخدمها في التغيير مشروعة، فاسأل نفسك:

- أولًا: هل الوسائل التي استخدمت في التغيير مشروعة أم غير مشروعة؟
- ثانيًا: هل الراية التي تجمع حولها الناس من أجل أن يحدثوا التغيير هل هي راية إسلامية أم جاهلية؟
- ثالثًا: هل تأملت العواقب في الشروع في التغيير؟ هل هذه العواقب مأمونة أو غير مأمونة؟

إذًا نحن لا نريد عواطف، نريد علمًا، بحيث أنك عندما تلقى الله تكن معذورًا-بإذن الله-بما فعلت.

نرى الآن قبل أن نناقش هذه الثلاثة في الواقع أننا نعتقد في ديننا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات، وأنه يجب علينا إنكار المنكر، ونعرف أيضًا أن لإنكار المنكر مراتب: باليد، باللسان، بالقلب، ونعرف أيضًا أننا ممنوعون عن إنكار منكر يأتي بمنكر أعلى منه، ونعرف أيضا أن وسائل تغيير المنكر لابد أن تكون بنفسها مشروعة.

فلا يصح لي أن أغير منكرًا بمنكر، المنكر لا يُغير إلا بالأسلوب الشرعي، إذًا أنا لا أنكر منكرًا يؤدي إلى منكر أشد منه، لا أغير منكرًا إلا بأسلوب أمرت به الشريعة.

ولهذا روى الآجُرّي أن الحسن البصري-رحمه الله-قيل له عن خارجي خرج في البصرة، فقال-رضي الله عنه-:

" المسكين رأى منكرا فأنكره فوقع فيما هو أنكر منه"

فمعناه أن سلامة النيات والمقاصد الحسنة لا تؤهل أبدا الإنسان لتصرّف غير مُرضٍ في الشريعة.

فأما حرق النفس والعياذ بالله، وكل أساليب قتل النفس اعتراضًا على الظلم فليس طريقة شرعية إنما منكر أكبر منه، أما الاجتماعات وإخلال النظام والخروج ولو بمقدار شبر في إرادة حل عقدة الامام فهذه كلها أمور غير شرعية، وورد في الحديث: ((من خرج عن السلطان شبرًا فمات مات ميتة جاهلية))[1] والشبر أقل ما يقاس به المسافات ويقصد بذلك أنه لو قام بأي فعل فيه حل لعقدة الإمام.

اختلاط الرجال بالنساء، تسوية المسلمين بالنصارى، كل هذه منكرات تُنكَر، لكن ما يحصل حال إنكارك للمنكر من تعريض الناس للخوف وتسهيل فقد الأمن ومن ثم أعمال المجرمين؛ كل هذا ليس إزالة للمنكر، وإنما وسيلة أُتخذت أتت بمنكر أكبر منه.

ثم تعال نسأل عن الراية التي اجتمع الناس تحتها من أجل تغيير المنكر، وربما في الأحداث الأخيرة تبين لنا حقيقة الأمر؛ لأن الانشقاق في الصف وشخص من داخل الصف انشق وأصبح رأسًا وأراد التغيير والناس مجتمعون عليه يريدون أن يُغيّروا معه، هذه هي الصورة لكنها كانت خفية والآن تبينت جدًا في الأحداث الأخيرة في العالم الاسلامي.

هل الراية راية إسلامية أم جاهلية؟ هذا الذي يريدون أن ينصّبوه أو يُغيروا به، إلى أي شيء ينتمي؟

والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((**ومَن قُتِلَ تَحْتَ رايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ، ويُقاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، فليسَ مِن أُمَّتِي**)) وفي رواية **"فقتلته جاهلية"**[2] أي أنه لم يقتل في سبيل الله.

والراية العَميّة: أي من العمى والضلالة، وهو قتال العصبية والأهواء.

وانظر اليوم للرايات المرفوعة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، يكذب من يقول إنها راية إسلامية، بل كثير من الأحيان لا يُذكر الإسلام أصلًا، بل فوق هذا يكون أول أعمالهم (تغيير الإسلام) (تغيير أن تكون هذه الدولة إسلامية) فدماء من سالت دماؤهم ستكون ماذا؟ ستكون في هذه العصبية.

إن الأهداف المُعلنة التي يتكلمون عنها تكفيك لأن تفهم أن هذه فتنة، القوم لا يتحدثون عن إقامة دين الله-عزَّ وجلَّ-، ولا عن إحقاق شرع الله، ولا عن إبطال باطلٍ أبطلته النصوص، بل كل ما يتكلمون عنه الدنيا، وهذا فيه دليل على أن الناس لا

(1) رواه البخاري (كتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، 7053)

(2) رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، 1848)

ينظرون حال التغيير إلى دينهم إنما هم خلف راية عمياء، فلا أمر الدين ولا عصيان الله–عزَّ وجلَّ–الذي يُجهَر به ليلًا ونهارًا، ليس هذا الذي حركهم؛ لهذا هم لا يتحدثون عنه لا في أهداف معلنة، ولا في أهدافٍ خفية.

وعندما تسألهم: ماذا تريدون من التغيير؟ كثير منهم يتكلم عن أمور تتصل بالدنيا، فترى هؤلاء يطالبون بتعيين فلان، وهؤلاء يطالبون بتمليك فلان، وهؤلاء يطالبون بتولي زمام الأمر فلان، وتراهم يُزهِقون أرواحهم ليكون هو الحاكم أو هو الرئيس.

فليس المقصود أمر الله، إنما المقصود في غالب أحوالهم أن يزاح فلان ويأتي فلان، وهذا الكلام كان صريحًا (نريد أن نُزيح فلان ويأتي فلان) أيا كان فلانا، المهم أن هذه الراية العَمّية.

ولهذا في الحديث الصحيح الذي رواه النسائي وغيره في تعظيم الدم من حديث ابن مسعود أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: **"يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ–أي يوم القيامة –فَيَقُولُ يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيقولُ قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ–أي في سبيل الله–، فَيَقُولُ الله: فَإِنَّهَا لِي، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ له: لِمَ قَتَلْتَه؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ فَيَقُولُ–سبحانه وبحمده–: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ. فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ"**

نسأل الله–عزَّ وجلَّ–العافية والسلامة.

فمن خرج على ولي الأمر تحت راية عمّية، فقاتل ولي أمر مستقر من أجل أن يتبدل الملك من فلان لفلان فهذا والله ليس في الله، ولا يجوز أن يكون هدفا، وهذا ليس في سبيله–سبحانه وتعالى–.

ولذلك يقول جندب–رضي الله عنه–بعد أن روى الحديث يقول: (فاتقها) يعني: **"اتقِ أن تدخل في حرب تُزهق نفسك أو نفس غيرك لأجل أن يكون فلان هو الحاكم"**.

وأنتم تعلمون أن الإمام القائم المستقر، الخروج عليه ومقاتلته هي التي لا تجوز، أي يصبح الذي يخرج فيقاتل من أجل أن ينزع المُلك من هذا فيعطيه هذا هو الذي يتحقق عليه حديث النسائي.

يأتي الأمر الثالث:

إذا حصل سلامة الشرطين (الأول والثاني)، لو افترضنا جدلا أن الطريقة صحيحة وأيضا الراية صحيحة، هل عواقب التغيير مأمونة؟

مر معنا كثيرًا كلام السلف عن مسألة التّروي والتّثبت، خصوصا عندما تكون الأمور لها أوائل ولها عواقب، ثم إنك ترى أن كثيرين ممن يدخلون في الفتن إنما يدخلون من باب ردة الفعل لإزالة الظلم، لتبنّي مفاهيم متحررة ولا يقتنعون بالطريقة الشرعية للتغير، أي ما عندهم وسط، إما ظلم محض، أو فوضى.

كثيرون يريدون أن يخرجون من الظلم إلى الفوضى، وكأن في الإسلام لا طريق للوصول إلى رفع ظلمهم!

نحن نقول الآن: فلننظر إلى النتائج ونرى ماذا يحصل حال وجود هذا التغيير بهذه الصورة الغير شرعية، بين الناس من ينتظر ويتربص لحظة فقدان الأمن ليسفِك، ليقتل، ليأخذ ثارات قديمة، ليعتدي على النساء، لينهب.

فالذي ينظر للمسألة بعواقبها يفهم كلام ابن مسعود كما روى الآجري في الشريعة، قال ابن مسعود: (ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة) يعني ونحن مجتمعون هناك أمور تكرهونها، لكن هذه الأمور التي تكرهونها خير من تحقيق ما تحبون ونحن في وقت فرقة، فقد يتحقق لكم بعض ما تحبون وتخسرون أكثر مما تحبون.

مرة أخرى:

عندما ننظر إلى النتائج ونرى الواقع نفهم كلام ابن مسعود ماذا يقول: "**ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة**" أي قد تتحقق لكم أمور عندما يفترق المسلمين ويتقاتلون لكن ليست بخير لكم إنما الخير هو أن تكونوا على الجماعة برغم ما تجدونه من أمور تكرهونها، ثم إن كثيرا ممن يتكلم في الفتنة ويثير الشحناء –وهذا أمر كان واضحا في الفتنة الأخيرة –هم ممن يتابعون من وراء الشاشات، هم ممن يفصلهم عن الأحداث مئات أو آلاف الأميال، يتفرجون على الناس وهم بعيدين هو في بيته آمن في أسرته

وفي قرابته لكن بلسانه يُشعل النار، لا عقل له يتأمل الأحداث ونتائجها التفصيلية، ووالله لو اكتوى هؤلاء بنار الخوف والجوع وعدم الأمان التي وقعت على الناس؛ لتلمسوا أسباب السلامة والخلاص.

لكنهم يتفرجون ولا يفهمون حديث النبي: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[1] لا يشعرون، يصفقون، يشجعون، يتكلمون كلام فيه حماس وأحيانًا لا تفهم هؤلاء لصالح من يتكلمون! فيجتمع في حقهم:

- جهل بالنتائج.
- عدم تثبت لأنهم يأخذون من تحليلات وسائل الإعلام ومن كلام فلان وفلان.
- يجتمع في حقهم إخراج أمراض في نفوسهم من أمراض الحقد ومن أمراض الضغينة ومن أمراض اللامبالاة، وينسون أنه لا يُصلح الناس إلا أمير برا كان أو فاجرا، وهذا من أجمع الكلام وأحكمه.

فقد أخرج البيهقي في الشعب بسنده عن علي–رضي الله عنه–قال: "**لا يصلح الناس إلا أمير برٌ أو فاجر**". قالوا: يا أمير المؤمنين هذا البر، فكيف بالفاجر؟ قال: "**إن الفاجر يؤمّن الله–عزَّ وجلَّ–به السُبل وتقام به الحدود، ويُحج به البيت، ويعبد الله فيه المسلم آمنا حتى يأتيه أجله**"

كأنه يقال: (لولا السلطان لكان الناس فوضى، لأكل بعضهم بعضًا)

ومثل ما سمعت في كلام علي بن أبي طالب، ليس شرطا أن يكون برا، قال: (لا يُصلح الناس إلا إمام برًا كان أو فاجر)

ومعناه أن الإمامة حرصت عليها الشريعة وحرصت على بقائها؛ لأن ما فيها من مصالح أعلى مما فيها من مفاسد، وأن أهل الجاهلية هم الذين لا يقبلون أن يكون عليهم إمام.

للخلق حقوق وللإمام حقوق فإذا ترك الإمام الحقوق لا يترك الخلق الحقوق (أدّوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم)

(1) أخرجه البخاري (6011)، ومسلم (2586) واللفظ له.

ويقول الحسن البصري (**هؤلاء –أي الملوك –وإن رقصت بهم المهاليج –أي نوع من الدواب العظيمة –ووطئ الناس أعقابهم –تعظيمًا لهم–فإن ذُل المعصية في قلوبهم**) إلى هنا نعلم أنهم يعصون وأن ذُل المعصية في قلوبهم، لكن يقول لك: (**إلاّ أن الحق ألزمنا طاعتهم، ومنعنا من الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم، فمن أراد به خيرا لزم ذلك وعمل به ولم يخالفه**)

إذًا نحن لا نزكي أحدا على الله ولا نقول: كاملين، لكن نقول: (الحق ألزمنا طاعتهم) ولذلك اتفقنا أن أعظم أسباب الفتنة هي عدم الاستجابة لله ورسوله؛ لذلك عندما يقال لك: (أطع ولي أمرك) ليس لأنك تنظر له نظرة الكمال–لأن نظرة الكمال من عمل الروافض فهم الذين ينظرون إلى ولاتهم على أنهم مُقدسون–لكن نحن نعلم أن النقص موجود في كل أحد ويتفاوت.

أنت ألزمك الحق أن تُطيع، منعك من الخروج، أمرك أن تستدفع ما هم عليه بالتوبة والدعاء، وليس بالخروج عليهم.

فالمقصد أنك عندما تنظر إلى نهاية الأمر تجد أمرًا عظيمًا، أن فتنًا عظيمة سيجُرّها هذا التغيير الذي ما أمر الله به.

نأتي نقول: إذا كان هذا الأمر كما تبين لنا، أنسكت عن إنكار المنكر؟ والنبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–يقول: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[1]

بعدما سمعنا من كلام هل معنى ذلك أن لا نُنكر على السلطان؟ وأننا نبقى نرى المنكر فلا نُنكره؟

ذكرنا قاعدة في إنكار المنكر نذكرها بإجمال الآن ثم نذكر حق السلطان علينا في إنكار المنكر لأننا لازلنا في المسلك الثاني وهو الثبات على الدين. لكن أُشير إلى هذه المسألة سريعًا وهي إنكار المنكر:

إنكار المنكر عبادة نتقرب بها إلى الله، مطلوب منا إنكاره ابتداءً من أحوالنا الخاصة وأبناءنا وأوضاعنا ومدارسنا وشوارعنا وشبابنا، إلى أن نصل إلى أعلى موطن للمنكر، لكن لابد من سُلّمٍ في الإنكار، سُلّم على من ننكر، وسُلّم آخر كيف ننكر.

فكل منكر نراه علينا بإنكاره في قلوبنا، وكل منكر تحت أيدينا علينا إنكاره باللسان، نترقى فنُنكره باللسان، سواء كتابة أو مخاطبة.

(1) رواه مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، 49).

ثم كل منكر تمكنّا من تغييره بأيدينا فلنغيره، شرط هذا كله: (أن لا نخالف الثلاث نقاط التي سبقت).

- لا نأتِ بوسائل غير مشروعة.
- لا يكون تغيير المنكر لمقصد غير مقصد الشريعة.
- وأن لا تكون العواقب أسوأ من المنكرات التي وجدت.

إلى أن آتي إلى السلطان، قبل أن نتكلم على إنكار المنكر على السلطان نبدأ بما هو تحت أيدينا من خاصة أنفسنا إلى أبناءنا إلى مدارسنا إلى ما نستطيع إلى أن نأتي إلى السلطان.

أما المنكرات التي تحصل في البلاد وأنت تراها فيلزمك إنكارها بقلبك، ويلزمك أن تنشر بين الناس الحق في المسائل.

أي: انتشر مثلا في بلد من البلدان شرب الخمر بعدما كان ممنوعًا بيع وشراب الخمر، لا تتكلم عن انتشاره والمحلات، تكلم عن حكمه وكرر حكم هذه المسألة، وأنها محرمة ولعن الله بائعها ومشتريها...إلخ.

انتشر الربا، تكلم عن حكمه وحرمته، تكلم عن هذا المنكر المنتشر.

يقول الناس لك: لو كان حرامًا فلماذا تركتموه؟ نقول له: يُنظر للأمر من جهتين:

1-أنت ستدخل قبرك وحدك، أُمرت ونُهيت ثم أتتك فتن تُختبر بها، فهذا الذي تُبتلى به من منكرات اختبار لك، هذا من جهة، ثم من جهة أخرى لو أن هذا الشخص مريض وسبب مرضه استعماله للدخان-والعياذ بالله-دخل على طبيب فقال له الطبيب: من أجل أن تجد الصحة في قلبك وبدنك امتنع عن التدخين؟ هل سترد عليه: يا طبيب أأمر الدكان الذي بجانبي أن لا يبع الدخان؟ هل هذا كلام عاقل. ماذا سيقول لك الطبيب؟ يبيع أو لا يبيع ليست مشكلتك أنت اشتري صحتك.

مثلا: يقول أحد هذه البنوك الربوية منتشرة في هذه البلدان. هذه مثلا بلاد كان فيها محرم بيع الخمر ثم حصل فلماذا لا يمنعون؟

الآن أُبتليت بوجوده، الكلام عنك، لا ترتاده لا تذهب إليه، قد بلينا ببلايا كثيرة نسأل الله أن يُزيلها، ماذا نفعل؟ اتركها وابعد عنها وانصح الناس.

مثلا: يأتي شخص يريد القيام بعمرة فيجد عنده وقت فارغ فيتسوق جهة الحرم، وهذه امرأة تخالط الرجال أو رجل يخالط النساء فأقول له: هذا الوقت الذي قطعته من أجل أن تتقرب إلى الله بالعمرة، لا تضيّعه في الأسواق، لو رد عليَّ فقال: لماذا فتحتم سوق بجانب الحرم؟ ماذا سأقول له؟ والله إن الله ابتلاك بهذا السوق الذي بجانب الحرم.

مرة أخرى:

عندما ننكر المنكر لابد أن يكون معنا عقل ننكر به، الله-عزَّ وجلَّ-ابتلانا بالمنكرات فالواجب علينا بداية إنكارها بقلوبنا، ونزع أيدينا منها ونصح الناس، لا تكن معتمرًا فترتاد الأسواق، ولا تكن معتمرًا فتختلط بالنساء.

فيقول الناس: اقفلوا الأسواق نقول: أنت ابتلاك الله بهذا امتحانا فلا تذهب. هذا الكلام لك، ومن هو أعلى منك ننصحه نقول له: اتقِ الله ولا تجعل هذا الأمر موجودًا هنا، لا تقرّب لهم ما يُلهيهم عن طاعتهم.

إذًا حتى إنكار المنكر له فقهه، ليس كل الناس أمرهم واحد، ليس كل الناس يخاطبون بخطاب واحد.

ثم إلى أن نصل إلى ولي الأمر، الطريقة المتَّبعة عند السلف النصيحة فيما بينه وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذي يتصلون به حتى يوجّه إلى الخير. وإلى هنا انتهى دورنا (أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم) حتى إنكار المنكر يكون بدون ذكر الفاعل، يُنكر الزنا ويُنكر الخمر ويُنكر الربا بدون ذكر من فعله، لا تتكلم عن الحاكم ولا عن غيره.

ولهذا عندما وقعت الفتنة في عهد عثمان قال بعض الناس لأسامة بن زيد: (ألا تنكر على عثمان؟) بما رأوه من تولية بني أمية.

هم رأوها مثالب، ونحن نعتقد عند الله أن عثمان-رضي الله عنه-من العشرة المبشرين بالجنة، ومن خيار الصحابة، وهو ممن نتقرّب بحبه إلى الله، وهو خير سند لرسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهو مَن أنفق أمواله في سبيل الله، وهو مَن مات معتصمًا بالله، منكبًا على كتاب الله قارئًا له، فأي إيمان هذا أن يكون العبد محاطًا بالعدو وهو ينكب على كتاب الله لا يرفع رأسه منه؟

نسأل الله بمنِّه وكرمه أن يحشرنا معهم، خيار الخلق بعد الأنبياء والرسل.

قالوا له: ألا نُنكر على عثمان، قال: "أُنكر عليه عند الناس؟! -أي أن أسامة رضي الله عنه استعجب من طلبهم-لكن أنكر عليه بيني وبينه ولا أفتح باب شر على الناس."

أي يقول: لو أردت أن أنكر سأُنكر بيني وبينه وليس أمام الناس.

ولما فتحوا الشرق في زمن عثمان-رضي الله عنه-وأنكروا على عثمان جهرًا، حصلت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية-رضي الله عنهم-وقُتل عثمان وعلي لهذه الأسباب، بل قُتل جمع كثير من الصحابة بأسباب الإنكار العلني وذكر العيوب التي تصح أو التي لا تصح علنًا، حتى أبغض الناس ولي أمرهم وحتى قتلوه.

وأنت لا تستعجب من هذا المسلك، فإذا كان النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وهو النبي يأتي إليه الرجل الذي امتلأ حقدا وغيظًا وعدم إيمان فيقول للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((يا محمد، اعدل))[1] فأكيد أن هذا مبني على ضعفٍ أو نفاقٍ أو عدم إيمان.

فعلينا نصحهم على الوجه الشرعي برفق واتباع ما كان عليه السلف من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس، وأبدًا نحن لا نعتقد أن هذا إنكار المنكر الواجب، بل هذا غلطٌ فاحش، وجهلٌ ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدنيا والآخرة.

وهذا ليس رأيًا ولا محاباة لأحد، وقد مضى ما مضى وانتهى وغُيرت الأنظمة في الأماكن التي أرادوا تغييرها، نحن نقول هذا الكلام من أجل أن أعبد الله على بصيرة، من أجل أن أعرف حق لابد أن أُسأل عنه.

فالمقصد كما في الحديث الذي صححه الألباني: ((**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ**))[2]

ولو ما استطعت أن تصل فأوصل لمن يستطيع أن يصل، وإذا لم تستطع هذا كله عليك بسؤال الله أن يدل الناس ويدل ولاة الأمر على الحق.

ثم إن إنكار المنكر لابد أن يكون هو بنفسه ليس منكرًا، يكون في غاية الأدب، ولقد رأيت ما رأيت من سباب حُكمه في شرع الله (فسق) وقد قال رسول الله: ((**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**))[3]

---

(1) أصل الحديث رواه مسلم (1063) نصّه: أَتَى رَجُلٌ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِن حُنَيْنٍ، وفِي ثَوْبِ بلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَقْبِضُ منها، يُعْطِي النَّاسَ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قالَ: وَيْلَكَ وَمَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: دَعْنِي، يا رَسولَ اللهِ، فأقْتُلَ هذا المُنَافِقَ، فَقالَ: معاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إنَّ هذا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ منه كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

(2) رواه أحمد في مسنده (15333)، صححه الألباني.

(3) أخرجه البخاري (48)، ومسلم (64)

وفي الحديث الذي رواه الترمذي: ((**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**))[1]

وهذا معنى تراه، فكم ممن رفع هذه الراية وبذل جهده في إهانة السلطان وظن أنه بذلك يتقرب إلى الرحمن، فبلغ حال فتنة عظيمة. ثم في هذه الفتنة دخل في أولها وهو يظن أنه سيكرّم فانتهى في آخرها وهو مُهان.

هذا الكلام كله في نقاش النقطة الثانية التي ذكرناها، في أن الواجب علينا وقت الفتن أن نثبت على الدين الحق، والثبات على الدين الحق هو أن ندين الله بأن هذا الذي وقع فتنة لا نقبلها ولا ندخل فيها لا بألسنتنا ولا بأيدينا، وأن نُميّز بين الكلام حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تنسَ أن الفتن تأتي تباعًا، فمن سقط هنا فسيسقط فيما هو أعلى منه.

والناس في فتنة الدجال ينقسمون إلى: (مؤمن وكافر) والله-عزَّ وجلَّ-في كتابه يقول: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}[2]

فعندما يُحاربونك الناس على معتقدك اثبت عليه واحفظ قلبك من الدخول في مثل هذه الفتن ولا تُجارِ أحدًا أبدًا، بل كن ممن استهدى الله فهداه.

اتفقنا أن الأمر الثاني: الثبات على الدين.

واتفقنا أن مسلكنا في هذا الثبات سيكون بفهم الأمر على مراد الله وعلى منهج السلف.

كيف أثبت على الدين؟

لأن كثير ممن تمسّك ودخل في هذه الفتنة قالوا: أنا أريد أن أثبت على ديني، أريد أن أقول كلمة حق عند سلطان جائر. نقول: نعم، كلمة الحق تقال عند السلطان، هذا ظرف مكان، (عند السلطان)، وليس على المنابر أو في الشوارع أو بتثوير العامة. ليس هذا، ولا تظن أن بداية بدون سلاح تساوي بقاء بدون سلاح، بل سيبدأ الأمر بهذه الصورة وينتهي بصورٍ لا تعلمها.

فالمقصد أن الثبات على الدين له مسالك:

---

(1) أخرجه الترمذي (2224) واللفظ له، وأحمد (20433) مطولًا وحسّنه شعيب الأرناؤوط.

(2) [سورة العنكبوت: 10]

المسلك الأول: أن تُحرر ماذا تعتقد في هذه الفتنة.

المسلك الثاني: أن تتكلم به-من أجل أن تثبُت-في خاصة أهلك خصوصًا لمن كان رأسًا في أهله، وخصوصًا لمن كان ولي أمرٍ وله كلمته في داخل أهله، من أجل أن تثبت على الدين زد في خطاب الناس وخطاب مَن حولك بذلك.

ثم راجع الأدلة ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، من أجل أن تثبت راجع الأدلة حتى تثبت على الدين، ولتعرف أن هذا ليس هوى وليس جبنًا.

في هذه الفترة نحتاج إلى أن نراجع كل الكتب التي تكلمت عن الفتنة، وكل الكتب التي تكلمت عن السنَّة، ومن أهمها كتاب: (الفتن في صحيح البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي) -رحمهم الله-، وكتاب: (السنَّة لابن أبي عاصم) ومن الكتب الحديثة المعاصرة كتاب: (معاملة الحكام للشيخ عبد السلام برجس) -رحمه الله-

وأيضا هناك محاضرة بثّتها إذاعة القرآن، والحقيقة مفيدة جدًا استفدنا منها في مبحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اسمها: ((المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن)) للشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري-حفظه الله-، وهي موجودة على شبكة مسلمات لمن أراد أن ينتفع بها ويسمعها خصوصًا للمحارم والرجال الذين قد لا يستجيبون للنساء.

فالمهم من أسباب الثبات:

أولًا: أن تعرف الحقيقة وتدين الله-عزَّ وجلَّ-بها بعد سؤال أهل العلم.

ثانيًا: تتكلم به.

ثالثًا: أن تراجع الأدلة، لا تقف؛ لأنك كلما اختلطت بالمجتمع ستسمع ضجيجًا ولا ترى دقيقًا.

الناس تسري رحاهم لكن على الحجارة، فتسمع ضجيجًا وكلامًا، ولا ترى نتائج، يتكلمون فيما لا يفهمون.

وإني والله خاطبت أُناسًا كثيرين ممن لهم علاقة بالبلدان المباركة التي وقعت فيها الفتنة، فكانوا يقولون: والله نحن لا نعلم لا عن الدستور، ولا عن المواد التي فيه، ولا عن طريقة الحكم، ولا عن أي شيء، ولا ندري ماذا كنا سنكسب، وماذا خسرنا الآن.

فتصور عندما يدخل الناس في أمر لا يفهمون أبعاده، لا يفهمون ماذا سيخسرون!!

فالنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لما اعتدى عليه ذي الخويصرة بالكلام، وقال له: اعدل يا محمد، وهذه إشارة نفاق أكبر، فقام الصحابة يريدون أن يُنكروا منكرا، هذا منافق ويعتدي على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يُفدى بالأرواح، فمنعهم النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-من قتله وقال: ((لا تقتلوه فيتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه))

أُنظر إلى قوة الميزان، أُنظر إلى هذا البعد الذي لابد أن يُحسب، فهذا منكر حق، والقوة والسلطان بيد النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-الآن، وصحابته متوافرون، ومع ذلك رأى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم-بما أراه الله من الحق، وبما جعله منهجا للخلق-ألّا يقتله مع استحقاقه، لماذا؟! لأن هذا سيُثير ما لا تُحمد عقباه.

ومثله وأبلغ منه، موقف النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-من تغيير المنكر الذي كان في الكعبة، كما هو معلوم ما يسمى الآن بحجر إسماعيل هذا جزء من الكعبة؛ لأن قريش قصُرت نفقتها الحلال، فما استطاعوا أن يبنُوا الكعبة كاملة من مالٍ حلال، فبنوا هذا الجزء من الكعبة، والباقي وضعوا عليه علامة تدل على أنه جزء من الكعبة.

كان النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يستطيع أن يبنيها، لكن خشي أن ترتد قريش فقال لعائشة-رضي الله عنها-:

((**لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشا حين بنت البيت استقصرت، ولجعلت لها خلفا**))[1]

لماذا ترك هذا المعروف العظيم الذي سيبقى أثره إلى قيام الساعة؟

تركه خوفًا من منكر أعظم وهو ارتداد قريش التي هي قوة الإسلام في ذاك الوقت.

فانظر إلى هذه الحكمة العظيمة، وراجع النصوص ما استطعت وتقوّى بالله.

إذًا أخذنا طريقتين، وكل طريقة فيها مسالك.

سننتقل إلى الأمر الثالث: الصبر على شدة الفتنة، واحتساب الأجر، سواء كانت الفتنة في داخلك، في داخل بيتك، أو فتنة في الخارج.

(1) رواه مسلم (كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، 1333)

أي إما فتنة تعمُّ المسلمين، أو فتنة تخصك، عليك بالصبر، عليك باحتساب الأجر.

والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول كما في حديث أنس: اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم))[1]

وعلى كل حال، ستجد مسالك عظيمة للوصول لتحقيق هذا الصبر، ومن أهم المسالك التي ترشدك للصبر هو: كثرة الدعاء.

الآن الطريقة هي الصبر، لكن كيف أصل إلى الصبر؟

الأمر الأول: سأبدأ بكثرة الدعاء، والتعوذ من الفتن.

والأمر الثاني: تصبر عندما يرزقك الله عصابة على الحق تُصبّر نفسك معها.

فلا تجد نفسك غريبًا، والحمد لله، نجد أن عصابات الحق هذه كثير، وأن من يحمل الرأي الصواب كثير، لكن صوتهم أَخْفتُ ممن حمل الإعلام.

فمشكلتنا الآن أن الصوت العالي أصبح صوت الإعلام، وهذه المحاضرة مثلًا الجديرة بالنشر محاضرة الشيخ العنقري لم نجدها إلا في إذاعة القرآن.

لماذا لم تنشر في القنوات الإسلامية؟ لماذا لم تُسمع؟ هل لأنها تخالف رأي كثيرين منهم؟

على كل حال، المقصود الآن توجد عصابةً من أهل الاستقامة والإيمان ومعرفة الحق، عليك أن تلتحم معهم من أجل أن يردّوا عنك غربتك.

والحمد لله هم موجودون كثيرون في بلاد المسلمين، لا تتصور قلتهم والحمد لله.

نحن لم نصل بعد إلى زمن الغربة التي تجد نفسك فيه وحدك لا، والحمد لله، تجد كثيرون، قل لهم قال الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

(1) رواه البخاري (كتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، 7068)

هم ما كانوا يعرفون ماذا يجب أن يكون اعتقادهم، فقط قل لهم: هذا ليس الصواب، الحق كذا وكذا؛ يقبلونه ثم أيّدهم وقوّهم بكلام تجد أنهم يستجيبون، فيقوى عضد المسلمين بعضهم ببعض وهذا مما يزيد صبرنا.

أيضا عليك بقراءة أحوال السلف، فاقرأ أحوالهم وصبرهم في الفتن، وانظر كيف سلّمهم الله ورفعهم، فهذا ابن عمر، وهذا ابن عباس، كم لهم من علم وفقه ورفعة منزلة، رفعهم الله-عزَّ وجلَّ-بما كانوا عليه وقت الفتنة.

وأيضا مما يساعدك مسلكًا تسلكه يساعدك على الصبر: الاستعاذة من الشيطان، الميئِّس لك من روح الرحمن.

واعلم يقينا أن هذه الفتن التي تأتي ما هي إلّا كاشفات، تكن بمثابة الممحِّصات، ينتفع منها المسلم قبل الكافر، ففي هذه الفتن يميّز الله أولياءه وأصفياءه، ويُطهِّر الله الأرض من المنافقين، ويُظهر الحقائق، ويكشف كثيرًا من الأمور التي ضُخِّمت، فله الحمد والمنة-سبحانه وتعالى-أنه يميز الخبيث من الطيب، ويميز الطيب من الخبيث.

فنحمده-سبحانه وتعالى-على أنه ابتلانا فهدانا، وهذا ليس لمزيد فضلٍ لنا، بل هذا من مزيد نعمته علينا، تُذكر فتُشكر، يُثنى عليه-سبحانه وتعالى-بكمال الصفات، ويُحمد على جميل الإنعام، فكم في هذا الطريق هالك، وكم نادم بعد أن تكشّفت الحقائق، وكم ممن سيندم عندما يلقى الله، والحكم ليس إلّا لله، والأمر ليس إلّا له، فنحن ما قال لنا النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-نمتثل، وما أمرنا به نأتمر.

إلى هنا ذكرنا أربع خطوات لأحوالنا وقت الفتن:

الخطوة الأولى: التثبت في ديننا.

ثانيًا: الثبات على الدين.

ثالثًا: اصبر على الأحوال.

ثم نأتي إلى المطلب المهم جدًا، وهو الغاية الحقيقية من نقاشنا حول الفتن، كيف تنجو؟

بالعبادة العبادة

الآن العبادة، والانكسار، والذل، واللجوء إليه، وإقامة عبادات لم نكن نقيمها، وتلاوة للقرآن أكثر، وتردد على العمرة أكثر، وقيام ليل، وصيام نهار، فالنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كما ورد في البخاري، عندما استيقظ-صلَّى الله عليه وسلَّم-فزِعًا قال:

((سبحان الله ماذا أُنزل من الخزائن، وماذا أُنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات -يريد زوجاته صلى الله عليه وسلم - لكي يُصلين))[1]

المقصد: أن وقت الفتن لا ينفعك إلا العبادة، وقد ورد في الحديث: ((عبادة في الهرج كهجرةٌ إلي))[2]

فاترك عنك تقليب القنوات، واترك عنك استماع الأخبار، واترك عنك مداولة ما يتداوله الناس، اترك عنك فعلوا وتركوا، اترك عنك سب المسلمين، اترك عنك التفكير في الوقائع ليس موت قلب، ولا لأنك لا تعتني بحال المسلمين، إنما لأنك أخذت طريقًا آخرًا لإعانتهم وهو طلب العون من الله، وهو طلب الكشف من الله، فاعبد واستقِم وتُب وانكسر، وأكثر من التوبة والاستغفار، وكما ذكرنا كلام الحسن البصري أن إزالة هذا المنكر لا يكون إلا بالقيام بما علينا من التوبة والاستغفار، فنسأله وهو الغفور الرحيم أن يجعل لنا قدم صدقٍ في الآخرين، وألّا يجعل هذه الفتن شاغلة لنا عن ذكره وشكره، وألا يجعل هذه الفتن صارفةً لنا عن القيام بحقه.

فالله الله في فهم منهج السلف في الفتن، لايزال الناس بخير ما عظَّموا السلطان والعلماء، لا يزال الناس بخير ما عبدوا الله، لايزال الناس بخير ما قدّموا أمر الله على هواهم.

فنسأله-سبحانه وتعالى-ألّا نكون ممن حرك الفتن، وألَّا نكون ممن أشعل نارًا لا تنطفئ إلّا بالآثام، ونسأله-سبحانه وتعالى- ألَّا نكون إلا تبعًا للحق، ليس تبعًا للهوى ولا جبناء كما يصفوننا ولا قليلي الاهتمام بالمسلمين، إنما نكون في ذلك متبعين لأمر النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-متمسكين بهديه-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

فكما أن حولك قوما لا يعلمون الحق ويتخبطون، هناك قوم يحملونك على أن تتكلم أو تشير أو تناقش أمورًا لا طاقة لك بها، ولا معرفة لك بها، فكن حذرا وقد ورد عن بعض الصحابة أنهم في زمن الفتنة أخذوا أغناما فخرجوا بها إلى رؤوس الجبال هروبا من الدخول في مثل هذه الفتن، فاللسان كما ورد في الحديث ((**اللسان فيها أشد من وقع السيف**))[3]

(1) رواه البخاري (كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، 6218)

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (494) وصححه الألباني.

(3) أخرجه أبو داود (4265)، وابن ماجه (3967)، وأحمد (6980) واللفظ لهم، والترمذي (2178) باختلاف يسير، ضعَّفه الألباني.

وكن حذرا من أن تكون خطيبا في فتنة، فقد ورد في الحديث أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-مرّ بقوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم قرضًا، -والعياذ بالله هذا في حديث الإسراء -مرّ بقوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم، كلما قُرضت عادت، قال: هؤلاء خطباء الفتنة))[1]

أي أن هؤلاء ممن خطبوا في الفتنة، فكن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم.

ولهذا انظر إلى موقف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كما ورد في مسند الإمام أحمد، أنه لما اعتزل القتال الذي وقع في المسلمين، وأخذ غنما وخرج بها إلى الجبال، جاء له ابنه عامر فقال: **يا أبت الناس يختصمون في الملك وأنت كالأعرابي في غنمك؟**

وقد ورد أن سعدًا أول ما رأى ابنه قادم، قال: "**أعوذ بالله من شر هذا الراكب**"؛ لأنه تفرّس أنه سيحرّضه على الدخول في الفتنة.

فقال له: أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسًا؟ لا والله.

ثم طرح له هذا الاحتمال المستحيل، يقول له: لن أدخل الفتنة إلا إذا حصل هذا الأمر.

قال: لا والله حتى أُعطَى سيفًا إذا ضربت به مؤمنًا نبأ عنه-أي ابتعد عنه وما وقع فيه-وإن ضربت به كافرا قتله-طبعًا هذا أمر مستحيل، فختم خطابه لابنه بأن قال: سمعت رسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((إن الله يحب الغني الخفي التقي))[2] فلتقواه اعتزل.

إذًا معنى هذا أننا سنأخذ في الجماعات العامة، عندما تجد أن هذا يحملك على رأيه، وهذا يقول لك: قل لي رأيك في كذا وكذا، في الجماعات العامة التزم الصمت.

(1) الترغيب والترهيب للمنذري، قال: إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

(2) أخرجه مسلم (2965)، وأحمد (1441) واللفظ له.

لكن كما اتفقنا ستجد من الخلق من يستجيبون، فكلمهم فُرادى ولا تدخل في مناقشات تسبب لك أن تنزلق قدمك فيما ليس لك به علم.

على كل حال: العبادة العبادة، عبادة في الهرج كهجرة إليّ.

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نسأله سبحانه أن يجعلنا ممن نجا من الفتن ظاهرها وباطنها.

اللهم آمين...

فهرس لمحتويات فقه الفتن

اللقاء الأول.....1
اللقاء الثاني.....19
اللقاء الثالث 29
اللقاء الرابع 29